تصدير

هل لهذا التصدير شأن فى الاهتمام غير شأن القصة ؟ ان المتتبع لهذه « التصادير » التى ظهرت على هذه الصفحة يكاد يحزم بذلك . وشؤون القصة العربية وهمومها كثيرة متنوعة ، متداخلة متشابكة ، منها الظاهر والخفى ، ومنها ميسور التناول وشائك المسائل . ولعله يبدو علينا الجنوح للغرابة والنشاز اذا طرحنا على القراء أن « قضية الخط العربى » هى من هموم القصة العربية كذلك . الخط العربى الذى نخط به أنا وأنت ، فى مشرق الوطن العربى ومغربه . انه هم من همومنا كذلك .. هم من هموم التجزئة الأقل تشعبا لكنها تجزئة على كل حال . فى المغرب نكتب بالخط النسخى وفى المشرق نكتب بخط الرقعة ، ويسهل الامر عندما تكون الكتابة بالآلة الراقنة أو المكنة الطابعة . أما عندما تكون الكتابة باليد فثمة الاشكال لأنه الانغلاق والتعثر خاصة اذا كان الخط « معلقا » كما نقول . وأذكر أننا اجتمعنا مرة على قراءة رسالة واردة على أحدنا من مشرقنا العربى ، وفينا متمرسون على قراءة المخطوطات من كتب قديمة ورسائل حديثة . ولكننا لم نهتد الى فهم بعض الفقرات . ويتأخر صدور بعض الكتب هنا وهناك أو حتى الاعتذار عن اصدارها بسبب صعوبة قراءة النصوص . وبريد مجلة قصص زاخر بهذا النوع من « الهم » . وكم كنا نود من مراسلينا أن يراسلونا بغير خط اليد . ولكننا فى نفس الوقت نعذر هؤلاء المراسلين لأنهم من « الغلابة » أو من الناشئين ، ولكن هل يعذروننا هم أيضا فيما يصدر عنا من تأخير أو حجب !! وقد يتعجب بعض قرائنا من إثارة هذه « النقطة » التى تبدو كأن إثارتها من فضول القول أو حتى من لغو الكلام . وقد يشفق أن تأخذ هذه « النقطة » حيزا من مجلة « قصص » . والذى تستهويه سطحيات الاشياء قد يتلاقى مع هذا المتعجب لأن من استهواه السطح

قد يغفل عما بداخل الجدار ، وبقاع الاساس . وهنا تكمن القضية .. قضية همومنا كلها . وكيف ننظر اليها ، وكيف نقيم خطورتها ومفعولها . إن الذى لا يهتم بصغار الاشياء يغالط اذا قال : إنه لا يهتم الا بكبارها . لأن لا شىء يولد كبيرا . ومهما يكن فانه هم صغير من هموم هذا الوطن الكبير . والهموم اذا كثرت كبرت مهما صغرت . فماذا أنتم فاعلون يا عرب !؟

« قصـص »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخبـــــر

كانت سيارة الأجرة الضخمة تتجه بهما الى المدينة . الحرارة كانت تتصبب عرقا على الجبين وعلى الصدغين . بينما تناثر على الطريق عمال سمر . كانوا بصدد طلاء الجدران التى امتدت على مسافة ليست بالقصيرة . كان السائـق ينتقل بهما عبر الشوارع معلنا عن أماكن سمعا عنها الكثير من قبل . فيحلـو لهما مقارنتها بالرؤيا .

توقفت السيارة أمام نزل طويل وعريض . فنزلا ودخلا النزل .

* * *

كان الصباح منتشرا فوق المدينة الرمادية الجدران . وكان النهـر ، الذى يتموج وسطها ، أصفر فى لون الرمل تنبع على صفحته فقاقيع شفافة .

قال الاول : لم أكن أتصور يوما أن تطأ قدماى أرض هذه البلاد .

قال الثانى وهو يمسح بنظرات متطلعة السمـاء الخـالية من السحب : إن أمرها لغريب . صمتا لحظة . وطار خلفهما سرب من الخطاف موشوش الاجنحة.

كان هذا الصباح الاول فى هذه المدينة الرمادية الحيطان . تركا مقعدهما وسارا فى اتجاه النهر . سمعا أصوات الاذاعة المنبعثـة من عـربة صغيـرة صففت فوقها الحلوى بألوانها الزاهية المتعددة ، تهدد وتنهر . تابعـا السير . كانت السماء الصافية تثقل كتفيهما وتجثم على المدينة والنهر . قادتهما خطاهما الى النزل . دخل كل غرفته .

* * *

فى اليوم الثالث أحس أحدهما بهفهفة تحت باب الغرفة . لقد اعتادها كل صباح فى هذه المدينة الرمادية الجدران . انفلتت منه ثؤباء وجر اليه الجرائد . كانت كثيفة مكثفة . تسربت الى عينيه عناوين متشابهة . عناوين صـارخة . تندد بأشياء غامضة . تمعن فى القراءة . لم يفهم . أعاد القراءة . ولكن بدون جـدوى .

إلتقى بصديقه فى قاعة الاكل الصامتة . ترشفا القهوة فى شىء من القلق .

تساءلا عما وقع . الجرائد كانت غامضة . كانت تدين أشياء غير مفهومة . سألا النادل عما وقع . تحركت عيناه فى اتجاههما ، ثم فى اتجاه المائدة وتأملتا الفناجين الملونة والصحون والزبدة والعسل وعصير الليمون والذبابة المرتعشة على غطاء المائدة . ثم انتقلتا حيث النافذة . كانا معلقين الى جفينه فخذ لهما وانصرف . تفاقمت حيرتهما . تشبثا بفنجانيهما فأحسا ببرودة القهوة وبانتشار الشمس فى المدينة . تركا النزل .

قضيا اليوم فى تنسم الاخبار ولكن أين كانت الاخبار ؟ ثم عادا الى النزل وقد قاربت الشمس أن تغيب . كانا يتوجسان خيفة من النزل وحرفائه ، ومن نظرات النادل المتواطئة ومن الاكلات الشهية التى تتوسط الصحون المزخرفة.

قال الاول وهو يمسح شفتيه بمنديل طرز على زاويته اسم النزل :

ـ لنذهب الى كشك الجرائد . لعلنا نظفر بجريدة خارجية . فربما عرفنا الخبر . اتفقا . حملتهما رجلاهما عبر طرق المدينة المرصوصة بالعلب الليلية الى أكشاك الجرائد . كانت كلها تشكو الفراغ . كانت هناك محلات من نوع

« نحن الاثنين » الفرنسية ، و « المرأة العملية » بالفرنسية كذلك . أخذتهما الدهشة . ماذا جرى يا ترى ؟ ماذا وقع فى العالم ؟ تجولا قليلا وتمتعا ببرودة الطقس الخفيفة . ثم قفلا راجعين الى النزل . تحسس كل منهما المذياع داخل غرفته ، لعله يعثر على اذاعة خارجية فرنسية ، انجليزية ، ايطالية ، عربية لا يهم ! فأنصتا الى طنين كان يملأ المحطات الاخرى .. طنين متواصل . متضاخم ، مزعج . ازدادت حيرتهما . وعندما هفهفت الجرائد فى الصباح الموالى انقضا كرجل واحد . يتصفحانها . كانت تندد ، تزمجر ، تتوعد . ازدادت حيرتهما . وعندما التقيا أمام مائدة الفطور . كانت للقهوة نكهة غريبة ، وللعسل رائحة غريبة ، وللزبدة صفرة غير معهودة ، ولعصير الليمون تموج غير عادى ، وللذبابة اللامعة ارتعاش غير مريح . تركا الفطور فى أوعيته وقصدا الشارع . كان يسيران، والخوف يسبقهما الى الكلام، والى الالتفات والى النظر حتى الى تموج النهر بين ضفتيه المصقولتين ، والى كلب يتمشى قرب الرصيف .

قال الاول : أحن الى سماء دكناء تنبىء بالمطر .

قال الثانى : أحن الى رائحة اللبلابى تتصاعد فى حى شعبى يغنى ، وأحيانا يزأر .

قال الاول : أحن الى عينى امرأة والشمس تضىء أحداقها .

قال الثانى : أحن الى أبواب سبعة يهدل فوقها الحمام .

قال الاول : أحن الى ركن دافىء ، أعرفه .

قال الثانى : أحن الى أشجار البرتقال محملة ثمارا أرجوانية .

كانا يرقبان النهر مسجونا بين ضفتين مصقولتين توزعت عليهما الكراسى والموائد ، محملة بالكوكا وعصير الغلال ، وعلب الجعة وأشياء أخرى .

زعقت صفارة سيارة قربهما فانتفضا متشبثين بالحائط ثم هدءا ، متابعين السيـر .

قالَ الاول : انتهت مهمتنا والحمد لله ، وسوف نعلم غدا ، بكل ما حدث .

* * *

كانا فى طريقهما الى المطار فى سيارة أجرة ضخمة ، وقد أصبحت الاماكن التى يمران بها معروفة لديهما ، ونسيمات الصباح التى تداعب خديهما أصبحت مألوفة أيضا .

عندما اقتربا من المطار خيل اليهما أن الجدران ازدادت علوا ، وكبرت كبرا مهولا ، لانها طليت بالابيض .

كانت السيارة تشق الشارع وسط دهليز من الثلج .

عندما استقلا الطائرة الاجنبية ، طلبا جريدة أجنبية . أتتهما المضيفة بها . تصفحاها فى خوف . وعثرا على الخبر فى الصفحة الثانية ، ذلك الخبر الذى اهتزت له جميع آلبلدان العربية . كانت الجريدة تتحدث عن مأساة «كنب دافيد» .

تنفُسا ملء صدريهما . لقد تركا السجن هناك . وعادا الى الجريدة يلتهمان الصفحات ويتطلعان على الخبر بكل تفاصيله .

نافلة ذهب

التابعـى الاخضـــر :

نبـاح فى بيـت مهجـور

أخذ ظل الحائط ـ حيث جلس عمار ـ يتقلص وقد انتهـى عمار لتوه مـن اضافة خرقة الى قميصه البالـى . ونزع « شاشيتـه » ليغرس فيها الابرة . ولكنه اخطأ المكان السهل فغرسها حيث يتكدس الصدأ والعصيان فلم تقدر الابرة الضعيفة على الغوص ومن فرط الصدمة انشطرت . فرمقها عمار بنظرة وقحة من عينه الوحيدة وقرب الشطر الباقى فى يده وخاطبها :

ـ تف عليك . فحظك أتعس مما حظيت ثم ضحك واردف :

ـ فهذه اليد التى غرستك مصنوعة من طينة النحس ما وقعت على شـىء الا أصيب بسوء : تحك جلدى فتزيده التهابا . ترفع الطعام فاذا هـو يزيـد الجوع عوض ان يشبع . كم مرة حاولت بترهـا ولكن . وقـف عمـار ينفض التراب المبلل بالعرق الذى علق بقميصه ومشى فى الزقاق الضيق الطويل وشمس الصيف الحارة تكوى قفاه .

كان الزقاق خاليا فحتى الصبية اعجزهم الحر عن مواصلة اللعب . وتحدث عمار بصوت مسموع اذ التفت ليتأكد ثانية من خلو الزقاق :

ـ أظن اننى والشيطان وحدنا نعمر المكان . ولكن لحسن حظه انه بمنجى من هذه الحرارة .

وقف عمار أمام الباب الخارجى لبيته وامتدت يده تتبع الخيط المتـدلى من رقبته ليقبض على المفتاح الخشبى ذى الاسنان . وفى المحاولة الثالثة جذب الحاجز فسقط المزلاج .

دفع عمار الباب بحذر كأنما يخشى ان يدوس شيئا ما وراءه . وفعلا كـان هناك « توتو » الكلب الصغير . والذى يساكـن عمـار ويشغلـه . واندفـع « توتو » الصغير يلثم اقدامه يتمسح عليها . ثم أخذ ينط كانما يحـاول أن

يصل الى فمه فيقبله . وابتدرء عمـار : حافظ على طمعك ولا تبدده بالمجـان فوالله ما نالنى شيء حتى أمرره لك . دعك من هذا التملق « يـا تـوتـو » فنحن نعرف بعضنا بكل ما فينا . ابتعد عن هذا الانبطاح والترحاب المفتعل فما ربحنـا منه غير تمزيق القميص . وها انى قضيت شطرا من نهـار وانا اصلحه ومع ذلـك لم اسمعك كلمة عتاب . أليس ذلك منتهـى السماحـة ؟. تمزق الثوب الوحيد الذى يستر عورتى بين الناس ثم تقبع مطأطـيء الرأس تحرك ذنبك فاعتبر ذلك منك ندامة واتركك لنفسك . جرب ذلك مع غيـرى وسترى . انك لن تعرف طريقك بعدها .

دلف عمار فسبقه ظله واجفل جيش الذباب المتكدس هناك فـى الحفـرة القذرة حيث يتخفف عمار . وما ان عرف انه عمار حتى عاد حيث كان. وظل يمارس هوايتـه . ولعل سبب فزعه انه يظن ان أجنبيا فاجأة فـى مـوقـف مخـــز .

دخـل عمـار الغرفـة الوحيدة او قل نصفهـا فالشطر الآخر سقفه سقط وبقيت الاحجار واخشابه مكدسة هناك . بسط الحصير البالى وارتمـى . واطل « توتو » متهيبا خائفا أظهر رأسه ثم تراجع . ليظهر انه يأكل . هنـا فقط حرك الكلب ذيله بسرعة غريبة وهرول نحو صاحبه وهو يخرج لسانـه يتلمض ونظره معلق بمكان الحركة من وجه صاحبه .

وضع عمار يدا حانية على « توتو » وخاطبه :

ـ لست وحدك الطامع ولا الجائع الوحيد يا « توتو » فحتى انا كما تعلـم اكثر منك طمعا وجوعا ونفسى تشتهى اشياء اخرى ليس فى متناولكـم انتم معشر الكلاب . وحتـى لو كنا اكثر مما نحن فيـه فلا ننسى عزة النفس ولا تغيب عنا ملامح الكرامة . تعرف يا « توتو » ان الناس ـ اى غيرنا انا وانت ـ تى لو كانوا شباعـا وذوى يسر ظلوا يترددون على باب الطمـع وبعضهم يلجه مرفوع الراس .

وداعبت يد عمار الحيوان الصغير وارتفعت فى الهواء فلاحقها الكلب فـى حركات مرحة . واستأنف عمـــار :

ماذا كنا نقول « يا توتو » « ورفع الحوان الصغير قائمته يمررهـا علـى وجهه ، طبعا انت لا تجيب ولكنك تفهم ما اقول . قلنا يا تو : مالنا وللناس

فهيا نبحث امورنا . فجيعة يا توتو ان نبقى حيث نحن . بحثنا عن الشغل فى كل شبر ولم نتهيب ورضينا به حجما وزمانا ومكانا . ولكنه لم يرض بنـا . كلما حاولنا ان نسأل شخصا ما بادرنا بالشكوى من قبل ان يدرك مقصدنـا والكريم حيـى يا « توتو » اوليس كذلك ؟.

سكت عمار . واستكان الكلب . وتراقصت الصور فى المخيلة هذه تدفعه والاخرى تجذبـه : تلك امك يـا عمار ! امك التى قضت كل ايام العمر وهى تطعم الناس بعرقها . وتطحن لهم الحب . عشقت صرير الرحى حتى اضحت لا تتبين الا دويها من بين الاصوات . ويوم ماتت مصدورة من الاجهاد . لم يأسف الناس على فقدها بقدر الاسف على الاتعاب التى خلفتها لهم . وانـك لصغير تلهو فى الزقاق مع الصبية الفقراء او من اترابك . ماتت فى صمت فما من صوت نعاها ولا دمعة ذرفت من اجلها . ولم تتصور يومها حجم ما اصابك وليس لـك قريب تربطك به صلـة رحم . ولا تجمعك به قطـرة دم . فيوم لطمت عينك واصبحت نصف اعمى ضحك الصبية وانت تتلـوى مـن الالم . ولم يتحرج احد من الكبار حين قالوا : ما له واللعب مع اولادنا ؟ . فمن هـو حتى يفعل ذلك ؟.

وقـف عمـار فجأة وتعلق به الكلب الصغير يشاغبه فسبقه الى البـاب وصدر عنه ضجيج يعرف عمار صداه فى اعماق غريزته .

ـ انت ذكى يا توتو . ولكنك تتجاهل نصائحى فتتغابى . قلنـا يا سيـد « توتو » ان الناس لم يسقطوا امرنا ونحن على ما ترى . واقتحموا علاقتنـا بعنف . ولو اطعت كلامهم فيك لنبذتك . انت لا تدرى ما يقال عنك وعنى . وبسببك تعرضـت لسخط المعاول والقذف بكل رخيص . لذلـك اوصـدت دونك الباب وعزلتك عن بنى جنسك . وهبك انطلقت فى الازقـة تـركض وراءهن فما من واحدة تمكنك من تشمم مؤخرتها وكلابهم الشرسة من حولها يتربصون . وستعود مقهورا والدماء من جنسك النحيل تقطر . دعنا يا توتو من هذا الحديث فنحن نجرى وراء القوت ومتى وجدناه يكون لنا رأى آخر . بالامس فقط تجرأت بدافع الخصاصة واقتحمت باب الادارة ولكن المسـؤول كان غائبا وهو موجود ولكنى عدت بالنصائح .

ـ لا تعود نفسك مخالطة هذه الاماكن يا عمار فلها اهلها . علم رجلك على السير فى الطرق المعدة لامثالـك . آه لو فهمتنى يا توتو لكنـا اكثـر مـن صديقين .

لو واجهنـا الواقع وعدنا الى انفسنا فتحدثنـا معها بصراحة لما وجدنـا حرجا فى ادانتها . وسالت دمعة من عينـه المعطـوبة فرفـع كمـه وازالهـا وضحك : حتى انت ايتها العاطلة تريدين ان اتكلف بعلاجـك . لو طاوعتـك وذهبت بكلى انى المصحة فسيقولون : اذهب الى رئيس البلدية . وحاجبـه سيحيلنا على العمدة . وخادم هذا يحيلنا الى المعتمد وكاتبه سيحيلنا علـى الوالى وربما قدموا بنا الى اعلـى . فهل لنا قدرة على فعل كل هذا واخيـرا سنحال علـى الرب اليس كذلك يا توتو ؟ او انى اخطأت تصـورى ان هـذا الحلم الخيال تحقق وعالجوك بالمراهم فمـاذا بعد ذلك .؟ فالنور لن يدخـل العيون المفقوسة ، وماذا أرجو منك بعد كل هذا وليس لـك على من فضـل فان كنت تبكين على مصيرك فما انا بقادر على منعك . وان كنت انما تبكين حظى فما من احد طلب منك ذلك .

المعذرة يا توتو ، ان انا اشتغلت بنفسى عنك فنحن واحد وقدرنا غيـر مجزوء . ولكن حالات النفس سريعة الانزلاق فى المساحات الفارغة .

قلنا يا توتو انا الانسان يجب ان يقتص من نفسه حتى يجد للناس عـذرا فنحن طلاب شغل ولكن من يقبل تاجير رجل نصف اعمى وشبه اعرج بسبب تلك الشوكة التى الفت المقام فى مكان الحركة من قائمتى اليمنى .

لقـد عشنـا الصبـر وعاشرنـاه لنبق هناك فهو محطتنا الاخيـرة اعدك « يا توتو » اننى سأفعل شيئا ما من اجلك وحدك هذه المرة بل اقسم لك على ذلك .

وخرج عمـار بعد ان اغلق الباب . ومن ورائه يرقص الكلـب الصغيـر . وانه لينتظر اذ سمع قهقهة عالية فتحفز . وسرعان ما ايقن انها من نظم رفيقه فاهتز لها طربا واجاب عنها بعالى النباح .

التابعـى الاخضـر

محمـود بلعيـد

عبـد الكـــريـم

كان لك صديق بدون شك ، كان لك صديق بدون شك ولا ريب ، صديق عزيز ، تفضله على كل الاصدقاء ، صديق يحبك وتحبه ، يصافيك وتصافيه ، يشجعك وتشجعه ، ينبهك ، يحذرك ويؤنبك .. صديق صادق يحزن لحزنك ويتألم لألمك ، ويسعد لسعادتك ويبتهج · صديق يبوح اليك باسراره كلها ، وتبوح اليه باسرارك كلها . صديق يلازمك كظلـك الأنيس ، وتلازمـه كظلـه الحبيب ·· ويسمى عبد السلام أو الهـادى او ابراهيم او عـبد الوهـاب ·· وصديقى انا هذا العزيز الحبيب يسمى عبد الكريم ·

··· تمر ايام حلوة ، تنساب كالماء الجارى ، صافية ، رقراقـة فضية لماعـة تجرى حتى تستقر فى بحر الذكريات ·· فتتجمع هادئة ، ساكنة تعكس زرقة سماء صافية لا تشوبها سحب ولا تحركها رياح ·· وتمر الايام وتمـر الاشهر والاعوام وتفترقان شيئا فشيئا ، بدون سبب ، قليلا قليـلا ، تشعـر ان أو لا تشعران ·· وتمر ايام بطيئة ثقيلة ، مدلهمة السحب ، مكفهرة ، تبرق وترعد وتهب رياح شديدة يهتز لها بحر الذكريات ، وترتفع أمواجه جبالا ، وتتدافع ، وتتسابق حتى شواطىء الذكريات البعيدة النائية ·· وتهتز هزاتها الأخيرة ، وتنقلب هادرة مرعدة مزبدة ثم ·· تنبسط وتمتد على الرمال ·· وتمر أيـام ، وتهدأ العاصفة ·· وتعود السماء الى لونها وصفائها ويظهر البحر من جديد هادئا ازرق لماعا جميلا ·· رائعا ·· وكأن لم تكن عاصفة ولم يكن بـرق ، ولم يكـن رعد ·· ويأتى يوم يدخل صديقك الى عالم الذكريات بدون ان تشعر ، ثـم الى عالم النسيان بدون أن تفطن ويبتلعه البحر ·

وتمر ايام حلوة ، وتمر ايام مرة ، وتمر أيام لا طعم لها ولا رائحـة ، وتمر الأشهر وتمر الاعوام تلو الاعوام ويأتى يوم ·· هكذا يأتى يوم تتذكره فيه بدون أى سبب ، أو بسبب ما، بكلمة ما، بحديث ما.. تعود بك الذاكرة، هكذا تعود بكالقهقرى فى اسرع من لمح البصر وومض البرق ، وتخترق بك الايام والاشهر

والاعوام ويحضر صديقك امام عينيك ، ويطفو فوق بحر الذكريات باسما ضاحكا ، مشرق الوجه كما عهدته ، جميلا ، وتعود اليك احسن الذكريات واطيبها ، وآنسها للقلب واحبها للنفس ، كما تعود اليك اتعس الذكريات وأحزنها ، وأثقلها عبئا على قلبك ورغم السنين ، ورغم الاعوام ، تبقى ثقيلة شديدة الثقل ، حالكة شديدة السواد ، حزينة محزنة ٠

هكذا عادت بى الذاكرة فتذكرت صديقى عبد الكريم ، زارنى فى خيالى ، وانتصب أمام عينى ، مبتسما محتشما ٠ شاهدته كما كنت أشاهده فى نهجنا وكأننا تفارقنا البارحة على أن نلتقى اليوم ٠ وكنا نفترق لنلتقى ، ونلتقى لننشرح ونقضى الساعات فى حينا من أروع الساعات وأمتعها ٠٠ وأروحها للنفس ٠٠٠

وصديقى عبد الكريم كان يذهب الى جامع صاحب الطابع فى الحلفاوين للدرس ، وكنت اذهب الى المدرسة العلوية فى « الربط الآخر » فكنا كل صباح نذهب معا ، ونفترق فى أول نهج حمام الرميمى اذا كنا متأخرين ، ونفترق عند نهج الدوارة وسط نهج حمام الرميمى اذا كان لنا شىء من الوقت ، واحيانا يبقى معى ، وابقى معه يحادثنى وأحادثه طوال نهج حمام الرميمى كله ، حتى نصل الى البيفة ، ثم باب سويقة ٠٠ ويدخل نهج الجزارة وادخل نهج باب بنات ونفترق على موعد اللقاء فى المساء ، بعد انتهاء الدروس ٠

وكنا نراجع دروسنا فى جامع رأس الزنقة مع بعض الأصدقاء ٠٠ ونذهب ايام العطل الى ملعب كرة القدم ، والى السينما ، ليالى جميلة مع أصدقائنا المختار وسالم والطيب ، ونذهب فى بعض العشايا خارج المدينة ، وتمضى ساعات نتنزه بين البساتين ٠٠ ويحدثنى خلالها عبد الكريم عن الكتب التى طالعها ، ويحدثنى عن جبران خليل جبران عن « الارواح المتمردة » عن « وردة الهانى » عن « مضجع العروس » عن « الاجنحة المتكسرة » ويقرأ لى بعض قصائد لا يليا أبي ماضى ، وميخائيل نعيمة ، وبعض قصائد لأبي القاسم الشابى ثم .. ثم يدخل يده فى جيبه فابتسم واقول له مشجعا :

ـ هات اقرأ لى ما عندك ؟

فيخرج ورقة بخجل ويفتحها بارتباك ، ويقرأ لى شعرا رقيقا عذبا .. وعند الغروب نعود الى المدينة وهو فرح ، سعيد ·· وعبد الكريم رهيف الاحساس الى حد بعيد ، أقل كلمة يحمر لها وجهه ويخجل ، أقل اشارة يهتز لها ويضطرب ولا أذكر بالمرة أنه وقع بيننا خصام ·· لا أذكر بالمرة أنى قلت له أو قال لى كلمة تعكر ولو قليلا صفو صداقتنا الطيبة .

··· فى بعض الليالى ، كنا نجتمع مع أعز أصدقائنا فى مقهى « فينا » فى أول نهج مدريد ، خارج باب الخضراء ، ونسهر ونطيل السهر ليالى الآحاد ، وليالى الجمعة ، وليالى العطل ، ونلعب « الكارتة » حتى ساعات متأخرة من الليل ولا يلعب عبد الكريم معنا إلا نادرا ، وفى غالب الأحيان يبقى يتفرج ، وأحيانا يمسك الطباشير ويرشم لنا ·· وتمضى ساعات ونحن نلعب ، وندخن ونرشف القهوة تلو القهوة حتى يرتفع الليل وحتى يبان الخيط الأبيض من الأسود ، وكان عبد الكريم اول من يقوم ، وأول من يفارقنا عدوا متجها نحو جامع راس الزنقة ليؤذن الفجر ·· فهو لا ينقطع عن الصلاة ابدا ·· له مفتاح الجامع ، يفتحه عند الفجر ويتوضأ ويؤذن ببابه ·· ثم يقيم الصلاة ·

واذا غاب امام الجامع ، او تاخر يوما ، او مرض او سافر ، يتقدم عبد الكريم بخشوع واحتشام الى المحراب ويصلى بالجماعة ·· فكان تقيا نقيا طاهرا عفيف القول عفيف السيرة عفيف الصداقة جميلها ·

كنا ـ إذن ـ مع بعض اصدقائنا سالم والمختار وحمادى والطيب الوصيف واحيانا المنجى نذهب الى السينما ، ونشاهد افلاما مصرية ونشاهد افلاما لبانية ، وهندية ، وافلاما غربية ، ونسمع الغناء فنطرب · ويهمس بعضنا لبعض « انظر ما أجمل هذه المغنية ، وما أحلى صوتها ، انظر ما أحلى هذه البطلة انى احبها ـ وما اسرع الحب الى قلوبنا ـ انظر الى هذه الممثلة انى اعشقها فهى جميلة انى والله اتزوج بها ·· وهذه فاتنة احبها قلبى من اول نظرة ·· وهذه من نار ·· وهذه الخمرية سحرتنى ، وهذه البيضاء ، وهذه الشقراء ·· بردا وسلاما على قلبى الملتهب ·· وهذه ساحرة النظرة ، سلبت عقلى وملكت فؤادى ·· وهذه المغنية ما أعذب صوتها وما أصفاه ، انها تخلب لى عقلى ·· انظر الى هذه الفتاة كيف تتكلم ، كيف تبتسم ما أعذبها وما أصفى ثغرها ، انظر الى شفتيها كيف تتحرك ، انظر الى عينيها ، الى نهديها الى معصمها ·· وينتهى

الفلم ·· ونخرج بقلوب متقدة ، مشتعلة ، ملتهبة تتاجج وهكـذا ابدا قلوب الشبـان ·

وتمضى الأيام .. ونشاهد أفلاما أخرى .. ونحـن كالفراشات ننتقـل من زهرة الى زهرة ، من وردة الى وردة ، من بستان الى آخر ·· فنحب مـريم فخر الدين ، ونعشق هدى سلطان ، ونهيم بليلى مراد ، ونهوى فاتن حمامة ، ونحب حبا عذريا اسمهان ·· وكنا كالشعراء فى كل واد يهيمون ، ويحبون ، ويعشقون ويحلمون ·· وعبد الكريم لا يحب ولا يعشق ولا يهيم · وكنا كالطيور فى فصل الربيع ـ ربيع عمرنا ـ ننتقل من شجرة الى شجرة ونغنى ، ننتقل من غصن الى غصن ونغنى ، ننتقل من فرع الى فرع ونستقبل الفجر ونحن نغنى ·· ونستقبل النهار ونحن نغنى ، ونستقبل الليل ونحن نغنى ، لكن ·· يعود كل طائر فى نهاية المطاف، دائما الى شجرته المفضلة، الى غصنه الحبيب، ولا يحلو له الغناء ولا يطول الآ على عصفورته الحبيبة ، فتاة أحلامه ·· فلكل منا فتـاة أحلامـه يناجيها فى يقظته ومنامه ، يلهج بذكرها بين الاصدقاء والخلان ، ولا يحلو له الحديث ولا يروق الا عنها ·· فيقول حمادى :

« رأيتها اليوم تمر بفستان أصفر ، جميل وكانت رشيقة أنيقة ، تتهادى فهزت قلبى .. وكان شعرها الاسود الطويل ينحدر على ظهرها وكتفيها ويحف بوجهها الملائكى ·· »

« ومرت اليوم ترتدى فستانا ابيض ··· »

« ومرت اليوم ترتدى فستانا احمر ··· وابتسمت لها وابتسمت لى ، وقلت لها ·· وقالت لى ·· وسألتها فأجابتنى ضاحكة ·· »

ويقول لنا المختار :

« اليوم ترقبت زهرة قرب باب مدرستها الجميلة ومسكتها من يدها الجميلة فسحبتها برفق جميل، ثم مسكتها ثانية فحاولت ان تجذبها جذبا لطيفا فابقيتها فى يدى بكل لطف وحب ·· ومرت دقائق وأنا سعيد مبتهج » ·

ويقول سالم :

« لمست اليوم يد فاطمة فسرت فى يدى هزة ، فكأنى لمست خيطا كهربائيا واهتز قلبى وانتشيت ، وعدت الى الدار أتمايل سكران واغنى وكـانى اسير فوق السحب ·· »

ويحدثنا الطيب :

« يا جماعة قلت لها يا بنت عمى ما احلاكى انا لا اهوى سواك ولا اتزوج الا بك والا « صرت بباصا ، بباصا أسود » وانطلق يضحك ثم تابع : فقالت لى :

ـ دقـة على عينـك

فقلت لهـا :

ـ تتزوجين اذن بأعـور ·

وابتعدت عنها ، واختفيت فى « السباط » ومرت فاغمضت عينـا وفتحت عينا واتجهت نحوها قائلا الاعور يحب الكحلاء فصاحت ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ آه فجعتنى ؟

ثم تابعـت :

ـ الكحلاء لا تحب الاعور بل تكرهه

ففتحت لها عينى فضحكت وضحكت ثم قلت لها :

ـ قبلة ، نحن الآن وحدنا فى « السباط » ولا احد يرانا فاجابتنى بسرعة :

ـ بقلـة

فقلـت لهـا

ـ ماذا تقولين ؟ بقلة ، بقلة ، آه ما أحلى فمك عندما تفتحين شفتيك كوردة وتقولين بقلة ، قولى ، قولى بقلة قولى ، قولى بقلة ·

وانقضضت عليها وقبلت شفتيها فكانى قبلت وردة حقا ، وبقى عبير القبلة استنشقه يوما وليلة ·

ويقـول المنجى :

أعطيتها البارحة تفاحة من بستاننا فى ماطر ، وقلت لها فكرى فى الليلة انى سآكل تفاحة مثلك ·· فى نفس الوقت ··

فنبتسم ، وننظر الى بعضنا بعضا ولا يتمالك الطيب ان يقول له :

ـ اعطها التفاح والبرتقال والرمان واعطنا ناكل معكما قليلا واعطها الخوخ والسفرجل والعنب والبطيخ والدلاع زمـن البطيـخ والـدلاع ، وفكـر فى أصدقائك ايضا عندما تذهب الى ماطر وعـلى الاخص عندمـا تعـود ، واعطهـا المشمش والبوصاع والتوت وحب الملوك والعوينة والاجاص او الكمثـرى كما تشاء ·· ولا تنسكنا ·· واعطنا ناكل معكما ·· ثم يلتفت الطيب الى عبد الكريم قائـلا :

ـ وأنت يا عبد الكريم ، انك لا تحكى لنا ولا تقص علينا ؟؟ كل طائر يغنى ونحن نرد عليه الا أنت ، أليست لك حبيبة تجعلك تغنى كمـا نغنى وتجعلك تنشرح وتحكى لنا ، كما تنشرح قلوبنا وتحكى .. قص علينا يا عبد الكريم.. فلكل منا مغامراته ، ولكل منا فتاة احلامه يناجيها وتناجيه يعشقها وتعشقه ، يعطيها الرمان وتعطيه السفرجل وأنت يا عـبد الكريم ؟؟ ·· بح ·· بح لنـا بحبك ، بح لنا كما نبوح لك ، خفف عن نفسك ، احك لنا أو تريد أن تنفرد بسرك وحدك ؟؟ ··

يحمر وجه عبد الكريم ولا يجيب · وأود أن يسكت الطيب ولا يزيد ، ولا يحرجه بأسئلته الملحة .. ويهمهم عبد الكريم ثم يقول :

ـ لا والله ، ما عندى سر ، لو كان عندى سر لبحت به اليكم ·

فيجيبه الطيب ضاحكا :

ـ اظن أنك كعبد الرزاق ولد بحرية ، ذهب الى الكتاب وبقى أشهرا لا يقول كلمة ولا ينطق بحرف ، وتساله امه كلما عاد الى المنزل « يا عبد الرزاق ما هى سورتك اليوم؟ فيجيبها: «سورتى ساكتة» وبقى أشهرا هكذا ، وأتى يوم واذا بسورته تنطلق واذا به يحفظ ربع القرآن ·

ويوما التقينا كالعادة ، نحن الأصدقاء ، فى الزنقة ، واقبل عبد الكريم علينا ساكتا واجما ، بقينا زمنا نتحدث وهو صامت ... ثم التفت اليه سالم وقال له :

ـ ما بك اليوم ؟ أنت لست كالعادة ؟

فأجاب بسرعة واضطراب :

ـ لا ، لا شيء !

حدق اليه سالم طويلا .. وبقينا ننظر إليه كلنا .. مترقبين جوابا صريحا ثم قلنا له :

ـ ما بك ؟! ما بك يا عبد الكريم ؟!.. أنت لست كعادتك اليوم ؟ فأجاب بصوت خافت :

ـ لا ، لا ونظر الى الأرض وتابع ، أنا لا أطيق ، لا أطيق وانطلق يبكى ... جزعنا ، التففنا حوله بسرعة وجعلنا نساله بكل ما لدينا من حب له ، بكل ما عندنا من عطف عليه ، قائلين بصوت يكاد يكون واحدا :

ـ ما بك ؟ ما بك ؟ قل لنا : ماذا وقع قل قل لنا يا عبد الكريم ؟!

بقى زمنا يبكى ، يبكى بأعلى صوته .. وأخيرا نحى يديه فبان لنا وجهه مبللا دموعا ، محمرا وقال :

ـ انى أحب أحب فتاة ولا أستطيع عنها صبرا ..

وازداد بكاؤه .. تنفسنا الصعداء ، كنا توقعنا كارثة ، مصيبة كبيرة ... ابتسم بعضنا ، رغم الموقف الحرج وأمسك بعضنا انطلاق ضحكة ، وقلنا له جميعا :

ـ الحمد لله يا عبد الكريم ، هذا يوم سعيد وأنت تبكى هكذا ؟ كان عليك أن تضحك ، أن تفرح وتنشرح ..

لكن عاد ووضع يديه على وجهه وانطلق يبكى من جديد ، يبكى ويشهق ، يبكى ويتألم كمن فقد عزيزا عليه ، كمن فقد امه وأباه فى يوم واحد .. وبقى يبكى بكاء مرا فكأنه أصيب بوجع الرأس أو بألم ضرس ، من ذلك النوع من

الألم الذى لا يحتمل ولا يطاق ولا ينفع معه مسكن ولا دواء ، ويبقى الانسان يتلوى ويود أن يضرب رأسه على جدار لعل ألمه يخف ، ويبحث عن كلاب ليخلع ضرسه بنفسه ، ويستريح .. بقى عبد الكريم يبكى وقد تمكن منه الداء وتغلغل .. بقينا مكتوفى الأيدى حوله برهة وهو يهتز وينتفض ، أمام أعيننا ، ولا ندرى ماذا نصنع .. وتألمنا لألمه ، ورققنا لحاله .. ثم ثبنا الى أنفسنا وثرنا ، وقلنا له بغضب :

ـ ما هذا يا عبد الكريم ؟! امسح دموعك ، هذا فعل أطفال صغار ، فعل صبيان فعل فتيان ؟!

فاجابنا والدموع تنحدر :

ـ لا استطيع .. أنا لا أستطيع ! .. ولا أدرى ما أفعل .. إنى أحبها .. ودموعى تسقط كلما فكرت فيها ..

فقال له حمادى :

ـ سوف نجد لك حلا يا عبد الكريم ، نحن أصدقاؤك ، كما تعرفنا سوف نجد لك وسيلة ..

وقال له المنجى :

ـ هل نحن نعرفها ؟

فأجاب على الفور :

ـ لا يعرفها أحد منكم ، انى سأموت سأموت من حبى بها .

وعاد يبكى من جديد فكأنه مصاب بداء الضرس حقا ، وكأنه قبل أن يأتى إلينا ، ويسلم أمره بين أيدينا ، ذهب وبحث عن طبيب وحده وكان اليوم يوم أحد فلم يجد عيادة مفتوحة فى كامل المدينة..بقينا مكتوفى لأايدى زمنا لا حول لنا ولا قوة وصديقنا أمام أعيننا يتألم .. بقينا حائرين ، نفكر ونتساءل كيف الحل ، كيف العمل .. ثم قال له سالم :

ـ هل خاطبتهـا ؟

فرفع رأسه للسؤال الذى لم يكن يتوقعه بالمرة وفغر فاه مبهوتا ثم أجاب :

ـ خاطبتها أنا ؟ أنا ؟ كيف لا ، لا ؟ أبدا ! .. أبدا ! ..

سكتنا زمنـا

ثم سأله حمادى :

ـ اين تسكـن !

ـ لا أدرى .

وقلـت له

ـ أين شاهدتها ؟

فأجـاب :

ـ رأيتها تمر البارحـة فى نهج سيدى عبد الحق .

ـ البارحة فقـط .

ـ نعم البارحـة فقـط .

فتحنا أفواهنا كلنا ونظرنا الى بعضنا بعضا مندهشين متعجبين ، ثم قلنا له جميعـا :

ـ كيف ـ كيف رأيتها تمر مرة واحدة فأحببتها كل هـذا الحـب .. ؟!

فأجاب مشيرا برأسه بدون أن ينطق بحرف ثم غلبته عبراته فعاد الى بكائه مـن جديـد ..

قال له الطيب ضاحكا ملء شدقيه :

ـ الحمد لله عليك يا عبد الكريم ، سورتك نطقت .

فالتفتنا الى الطيب كلنا وصحنا فيه :

ـ هذا ليس وقت لعب ولا وقت ضحك .

فأجابنا ضاحكا فاتحا فمه على مصراعيه مظهرا أسنانه البيضاء كلها ٠

ـ والله أموت ، أنا أموت ، لو أمسكت الضحك لا نفجرت ، يجب أن اقول لعبد الكريم الحقيقة أن اصارحه ، هو يبكى المسكين وتكاد روحه تطلع ، كان عليه أن يدرب نفسه شيئا فشيئا ، قليلا قليلا ، لكنه هبط دفعة واحدة ٠

وضعنا ايدينا على فم الطيب فصار يغمغم :

ـ تحرموا على الكلام ، كلام رب العالمين ، والله حـرام عليكم ، اتركـونى انصح عبد الكريم اتركونى يا جماعة أفتح له عينيه ، الرجل بـاش يمـوت خلونى أقول له الحقيقة ستقتلونى ، تحرموا على النفس ..

وأخيرا تغلبنا عليه واسكتناه ٠

بقينا نفكر ٠٠ واجمين ، نفكر ٠٠ نتدبر خطة ٠٠ شاهدنا عبد الكريم على هذه الصورة فهدأ روعه وخف ألمه وكأنه ابتلع قرصا مسكنا ٠٠ بقى ينظر إلينا برجاء ٠٠ يترقب منا حلا ٠٠ شعرنا بأننا استطعنا تخفيف ألمه فتشجعنا وقلنا فى أنفسنا « إنه يثق بنا كل الثقة .. ويعرف قدرتنا كل المعـرفة .. وكلمـة مستحيل غير موجود فى قاموس صداقتنا وشاهد مواقفنا فى مناسبات عديدة واننا نضحى بكل ما لدينا فى سبيل صديق من أصدقائنا ٠ بقينا نفكر زمنا ٠٠ وأخيرا قلنا له :

ـ إذن يجب ان نشاهدها أولا ٠ ثم بعد ذلك نجد الحل ٠

وسأله سالم قائـلا :

ـ متى تمر فى نهج سيد عبد الحق ؟

فأجاب بصوت خافت ، ببطء وتردد ، وكأنه يبوح بأعز سر عنده ٠

ـ بعد منتصف النهار بقليـل ٠

فقـال حمادى :

ـ إذن موعدنا كلنا جميعا غدا قبل منتصف النهار فى أول نهج سيدى عبد الحق قرب الجبانة ، ونظر إلينا مترقبا الموافقة ٠

فقـال سالـم :

ـ أظن الأحسن أن نتقابل هنا فى الزنقة وننطلق جميعا مع بعضنا · وأجبنا كلنـا ·

ـ الاحسن أن نلتقى هنا فى الزنقة ·

فأجاب حمادى :

ـ كما تشاؤون ·· إذن الموعد يا جماعة هنا فى نفس المكان ثـم قال لعبد الكريم : اترك المشكل بين أيدينا ولا تحير نفسك ، والآن فلنغيـر الموضـوع ولنتحدث فى أشياء أخرى ·· يحب أن تعود الى ابتسامك يا عبد الكريم ، يجب أن تعود الى حالتك الطبيعية ··

·· وأخيرا ابتسم عبد الكريم ، فكأن ألم الضرس ابتعد عنه تماما ، وكأن الأقراص التى قدمناها له كانت ناجعة حقا ، ومفيدة الى حد بعيد ·

كان ذلك اليوم يوم أحد ، فذهبنا الى السينما كالعادة ، واخترنا فلما مرحا ، فيه كثير من الرقص والغناء ، ودخلنا ، ووضعنا عبد الكريم بيننا · وكنا أثناء الفلم نلتفت اليه من حين الى آخر نصف التفاحة ، ونهمس اليه ·· ما رأيك فى هذه الممثلة الجميلة ، ما قولك فى هذه الراقصة البديعة ·· وكان عبد الكريم يشاهد الفلم ولا يشاهد ، يومىء الينا برأسه ولا يجيب .. وأحيانا يهمس الينا بكلمة نعم بدون أن يفهم أو يسمع ما نقول .. ثم شعرت به يبكى خفيـة تحـت ستار الظلام ·· فتألمت لألم صديقى ولمسته بكل رفق فنكس رأسـه خجـلا وعاد اليه بعض هدوئه ·· ومرت الساعة والنصف ·· وانتهى الفلم · وأشعلت الانوار وقمنا وقام عبد الكريم ·· شاهدت عيوبه فكانت متورمة محمرة حزينة ذابلة فحزنت ·· وخرجنا ·· وذهبنا الى نهج لندرة واكلنا « سندويتشات » ثم اتجهنا الى مقهى « فينا » لنلعب « الكارتة » كالعادة ·· وأمام المقهى وقـف عبد الكريم واعتذر لنا قائلا :

ـ الليلة لا أستطيع السهر معكم ، أنا تعبان وأريد أن أعـود الى الـدار لأستريح !

فقلنا فى انفسنا انه سوف يعود الى الدار وسوف يعود اليــه حزنه وبكاؤه ، وسوف يطول ليله ويتعذب .. يجب أن يبقى معنا أكثر وقت ممكن .. وقلنــا لـــه :

ـ آه ، لا لا أبدا ، أبدا ، يجب أن تبقى معنا ، يجب أن تسهر معنا كالعادة ، وهذه الليلة سوف لا نطيل سوف نبقى ساعة واحدة لا أكثر ..
فاجابنــا :

ـ أتفرج عليكم اذن ! انى لا أستطيع اللعب !

فقال له المختــار :

ـ ارشم لنا ، ابق معنا وارشم لنا .

ودخلنا المقهى ، وجلسنا حول طاولتنا كالعادة ، فى ركننا المفضل كالمعتاد ، وجعلنا نخلط الاوراق ، ونوزع الاوراق وشرع كل لاعب يتحاور مــع ملاعبه بالهمسات والغمزات والكلمات الغريبة ، ونحاول من حين لآخــر أن نضحــك عبد الكريم ، ان نفرج عنه قائلين « لا تحير نفسك » « لا تشغل بالــك وازهى للدنيا تزهى لك » .. وانهمكنا فى اللعب واعمال الحيل ، وتأخير ورقة وتقديم اخرى ، وحك الرأس والجبين والضرب على الطاولة بورقة « الحية » و « اللص » ونصيح وننذر ونغنى ، وعبد الكريم حاضر بجسمه غائب بعقله وقلبه وروحه فنهمزه بمرافقنا وننناديه فينتبه مذعورا ويرشم بسرعة .. ونقول له « ابتسم وانشرح تبتسم وتنشرح لك كل الدنيا « ونتمادى فى اللعب ويغيب عنا شيئا فشيئا .. ويبتعد ، ونصيح فيه من جديد بدون أن ننظر اليه فينتفض ونقول له « ما عليك يا عبد الكريم ، خل الأمر بين أيدينا « لا تفكر كثيرا » « لا تشغل بالك ولا تحتار » ارشم يا عبد الكريم .. اليوم زهو ولعب وطرب » « اليوم خمر وغدا أمر » الحل عندنا ، سوف تشاهد وترى بعينيك الاثنين .. » ارشم .. أرشم ومرت ثلاث ساعات بدون أن نشعر .. وقمنا اخيرا وانتفضنا وفارقنا المقهى ونحن نتحدث بحماس .. الرابحون يتهكمون ويضحكــون والخاسرون يحتجون ينتقدون ويتوعدون .. وسرنا فى نهج حمام الرميمى ، وصياحنا يعلو وصخبنا يزداد وحديثنا يطول ولا ينتهى ..

.. وأمام الزنقة توقفنا عن الهرج دفعة واحدة ، والتففنا حول عبد الكريم وناولناه كمية هائلة من الأقراص التى كنا قدمناها اليه وهو يرشم لنا فى المقهى ، فأمامه ليل كامل ، وليل العشاق طويل يكاد لا ينتهى ، وكثرة الاقراص عامة لكن أقراصنا مفيدة رغم كثرتها ، مسكنة مهدئة للأعصاب رغم وفرتها ، تعود بالراحة والنوم العميق .. ناولناه كل هذه الاقراص ، ملأنا بها جيوبه كلها وودعناه أمام منزله ..

عاد كل منا الى داره وهو يفكر فى أمر عبد الكريم ، وأمر هذه الفتاة الفاتنة ، الخلابة الساحرة التى سلبت عقل عبد الكريم كله ولم تبق منه شيئا ، وفتنته وسحرته وجعلته يبكى كطفل صغير .

* * *

وفى الغد التقينا كلنا ، حسب الموعد ، وذهبنا مع عبد الكريم ، أو قل بعبد الكريم الى نهج سيدى عبد الحق ، ونحن نفكر أولا وقبل كل شىء فى امر هذه الفتاة العجيبة، ومن عساها أن تكون.. كان حب استطلاعنا قويا شديدا، طاغيا لا نستطيع له صبرا ولا مقاومة بل جعلنا نتشوق الى رؤيتها شوقا كبيرا .. وجعلنا نسرع الخطى الى نهج سيدى عبد الحق أكثر فأكثر ، ونحن نفكر فى صمت واذا بنا نسمع الطيب يغنى .

لعب الظبى بعقلى ساعدونى يا عباد

فنلتفت اليه ، ويقف عبد الكريم دفعة واحدة غاضبا حانقا، مصفر الوجه ، قائلا للطيب مكشرا محدقا فيه :

ـ بدأت بدأت سوف أعود الى الدار

ونقول للطيب جميعا غاضبين مؤنبين .

ـ هذا لبس وقت غناء ولا وقت ضحك ؟

فيجيبنا مبتسما مظهرا أسنانه :

ـ أنا فرحان بعبد الكريم ، وأريد أن أغنى وأرقص وهو ذاهب الى حبيبته فصحنا فيه بغضب شديد :

ـ اسمع يا طيب ، اذا أردت أن تفتح سركا او تنصب حضرة أو اسطنبالى فما عليك الا أن ترجع الى الزنقة ولا تذهب معنا ٠

فيجيب بدون ابتسام :

ـ سأسكت سأسكت

وتابعنا سيرنا ومرت دقائق ٠٠ واذا بالطيب يبتسم ، واذا به يمسك ضحكة ثم يطلقها صادحة ورنانة فوقفنا غاضبين حانقين والطيب يتلوى أمام أعيننا ضحكا ، ويكاد نفسه يتوقف ثم قال لنا لاهثا باحثا عن أنفاسه :

ـ أنتم تحرمون على الكلام ، وتحرمون على الضحك وحتى الابتسام سوف تقتلوننى فى يوم من الايام ، الله يحاسبكم ٠

ـ يا طيب إذا أردت أن تضحك وتتمادى فى عبثك وشيطنتك فالأحسن ألا تذهب معنا فأجاب :

ـ لكن يا جماعة أريد أن أقول ما أريد قوله الآن وبسرعة دفعة واحدة وينتهى كل شىء وأسير كسائر البشر ساكتا جامدا هامدا حزينا كئيبا بائسا يائسا أو هائجا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتعدنا عنه وتركناه يهذى وحده .. ثم جعل يقتفى اثرنا على بعد ويغنى بأعلى صوته :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاويا فتمكنا
يا ليلى يا عينى يا ليلى يا عينى يا ليلى يا عين

وكان يتمايل كأنه سكران ، ويصطدم بجدران النهج يمينا وشمالا ونحن نستمع اليه ونلتفت من حين الى حين ونكاد نتفجر ضحكا ٠٠ ثم ٠٠ ثم ترقبناه قليلا صحنا فيه فى آن واحد بغضب وضحك :

ـ يا طيب يزى يا طيب بربى يزى ٠

والطيب يسمعنا ولا يسمعنا يغنى متماديا فى غنائه يتمايل يمنة ويسرة ، ٠٠ قل للحبيبة فى الخمار الاسود ٠٠ »

وأخيرا تفجرنا ضحكا حتى فاضت دموعنا والطيب لا يبالى لا يسمع ولا يرى يغنى ويتمايل ، وابتسم عبد الكريم ، ثم ضحك لضحكنا وهو يحتج ويؤنب ثم عاد الى عبوسه وغضبه ·· والطيب لا يبالى يصيح بأعلى صوته ·

قـد كـان شمـر للصـلاة ثيابـه حتى وقفت له ببـاب المسجد ··

·· وابتعدنا ، ووصلنا الى آخر نهج سيدى عبد الحق قبل منتصـف النهار بقينا نتجول ، نتكلف الحديث ، نتكلف الصمت ، نتكلف الضحك هـذه المرة واللامبالاة وعبد الكريم ساكن ، ساهم واجم ، شاحب الوجه ، مرتبك الحركات، لا يدرى ماذا يقول ولا ماذا يفعل ··

وبعد دقائق وصل الطيب الينا فتنفسنا الصعداء ، فرحنـا فى أعماقنـا وسررنا ومع ذلك بقينا ننظر اليه فى صمت مظهرين له الرضا والسخط فى آن واحد · ثم قال له المختار ·

ـ طيب الآن انتهى كل شىء خير لك أن تعود الى صوابك ·

فقال له ولنـا :

ـ كل ما عندى قلته وغنيته للجدران والمارة والاطفال وحـتى القطط والآن فرغ مزودى وسأبقى هادئا ساكنا ما استطعت كسائر البشر · لكن اذا تذكرت شيئا او حضر لى شيطانى فسوف أفر ··· وأغنى وارقص بعيدا عنكم ··

فسأله حمـادى

ـ صحيـح ما تقول ؟

فأجـاب بسرعـة

ـ والله العظيم والقـرآن الشريف لا أفتح فمى ولا أقول كلمة الا باذن وكأننى فى الجامع .

وضحك ···

واذا اقسم الطيب بالاله العظيم وبالقرآن الشريـف انتهى كـل شىء ·· بقينا نتجول ولا نتجول طوال سور جبانة سيدى سفيان ذهابا وايابا ·· وعند

منتصف النهار والربع تقريبا انتفض عبد الكريم انتفاض طير جريح أصابته حبة صياد ماهر · وقال لنا وقد تغير لونه تماما :

ـ ها هى ، هى ، هى ··

التفتنا نصف التفاتة ، ونظرنا نصف نظرة ثم نظرة كاملة « سبحان الله ، سبحان الله ، فتاة تشبه عبد الكريم تماما ، نحيفة الجسم كعبد الكريم ، طويلة القامة ، هادئة الحركات رقيقة الحواشى سمراء مستطيلة الوجه قليلا ظريفة الانف والفم والجبين قسطلانية العين كعبد الكريم رقيقة الاطراف طويلة الشعر تمشى مشية محتشمة فكأنها أخته أو ابنة عمه قحا ·· » مرت بخطى هادئة بقينا ننظر اليها مشدوهين ، مبهوتين ، مفتوحى الفم .. ولا نقول كلمة ولا ننطق بحرف · وابتعدت بلطف ، وعرجت يمنة ودخلت نهج مارس ··

بعد برهة استيقظنا ، والتفتنا الى بعضنا بعضا ثم التفتنا الى عبد الكريم فكان واقفا ساكنا جامدا فاقد الوعى تماما ·· ثم انتبه لالتفاتتنا ، وتحرك لتحركنا وتنهد من كل اعماقه قائلا :

ـ رأيتم ما أجملها ! رأيتم ما ألطفها ! لا يوجد فى الدنيا أجمل منها واروع منها واطهر روحا واصفى قلبا وانقى !.. ملائكة ، ملائكة تسير على وجه الارض ، انى احبها ، اعشقها أهواها ، أحب روحها الصافية أحب روحها الصافية الطاهرة النقية العذبة ···

وانطلقت دموعه من جديد دفعة واحدة ، وانهمرت بغزارة مفزعة مروعة حتى قلنا انها سوف تبقى تجرى بدون انقطاع ويستحيل توقفها ··

قلت لعبد الكريم آمرا :

ـ يجب عليك أن تخاطبها ، اذهب وخاطبها الآن ··

دهش لكلامى وفتح فمه وقال لى :

ـ كيف ؟! كيف ؟! اخاطبها ؟! أنا أنا أخاطبها ؟ ··

فقلت له :

ـ نعم أنت تخاطبها وتخاطبها توا ·

ـ لا ، لا استطيع ؟ أبدا أبدا ؟ من المستحيل لا أقدر ٠٠ لا أقدر ٠ وجعل يفكر ٠٠ ويهتم ٠٠ كيف يخاطبها ٠٠ كيف يجرأ ويخاطبها ومن أين له القدرة والشجاعة حتى يقترب منها .. ثم انه يحترمها ، يحترمها كثيرا ، ويخاف ان يخدش ضميرنا بكلامه يخاف ان يزعجها يحيرها انها ملائكة ، ملائكة .. إنه يفضل أن يشاهدها هكذا على بعد ، هكذا ينظر اليها هكـذا كـل يـوم تمر ، تتهادى ٠٠ وجعل يفكر ٠٠ وانتصب هذا المشكل أمامـه ، وجثم صعبـا ٠٠ ضخما عظيما جليلا..كيف له أن يقدم ويقترب منها ، أو يدنو من هذه «الملائكة» ويخاطبنا .. لا يستطيع ذلك .. أبدا لا يستطيـع ذلـك . واهتـم . وجـزع وصدم بهذا المشكل الجديد غير المترقب ، وأخذ يشغل باله ، ويزاحـم مشكله الاول ويزحزحه من مكانه ٠٠ كف بكاؤه وانقطعت دموعه ٠٠ ونسى ألمـه ٠٠ وبقينا زمنا نسير .. عائدين الى حينا صامتين واجمين .. واخيرا التفت الينا عبد الكريم وقال لنا برباطة جاش لم نكن نعهدها فيه :

ـ لو فرضنا أنى اقتربت منها فماذا أقول لها ؟

فأجابه سالم على الفور مبتسمـا :

ـ أنت كانك ستقدم على عزرائيـل وتحاوره أو جنيـة ستفتح لـك فمهـا وتبتلعك اقترب منها،ثم قل لها بكل أدب وهدوء «انت تعجبيننى كثيرا وأود ان اتعرف عليك واسالك هل انت مخطوبة ام لا ؟ فهـذه كلمات سهلة وبسيطـة للغاية قل لها هذه الكلمات والسلام ٠

فأجاب عبد الكريم بعد صمت وتفكير :

ـ غـدا أخاطبها

فقال له حمادى وقلنا له معه :

ـ غدا تخاطبها بدون شك ولا ريب

فقال لنـا

ـ غـدا ان شاء الله

وتقدم الطيب منطلقا ضاحكا كالعادة مظهـرا اسنانه البيضـاء كلهـا حتـى النواجـذ قائـلا ٠

ـ اسمع يا اخى عبد الكريم أتى الآن دورى على ما أظن لأتكلم وأطلب الكلمة لأنصحك ، غدا ان شاء الله قل لها هذه الكلمات التى قالها لك سالم بكل راحة بال وهدوء نفس وابتسام،ولا تقلق نفسك ياعبدالكريم ولا تحيرها ولا تزعجها وبكل عزيمة وارادة ورباطة جاش قل لها بصدق : أنت مخطوبة أم لا ، وبدون تسرع ولا تباطىء ولا تلعثم ولا تكلف ، ولا ادخال كلمة فى كلمة ، ولا حرف فى حرف ولا ادغام ولا تلجلج ولا اختلاج قل لها ان لم تكونى مخطوبة فانى أريد أن أخطبك أو أود أن أخطبك أو أنا خاطبك ، ان شئت ..

فصحنا فيه :

يا طيب اسكت يزى ـ قل لها انى أحبك وأحبك كثيرا واتخبط فى حبك وأريد أن أتعرف عليك وأن تتعرفى على وتصبحى زوجتى فى الدنيا والآخرة ، وأصبح زوجك كما أريد وأشاء واشتهى ، وأقبلك مهما كان العدد ومهما كانت الظروف بدون صد ولا رد ولا أرتد .

فصحنا فيه :

ـ يا طيب كف عف ، يا طيب يزى اسكت ، قل لها وانت تبتسم وبدون تردد ولا ارتباك ولا نحنحة ضاحكا ومكشرا عن انيابك كلها ، يا عبد الكريم والابتسام والضحك مفتاحا الحوار ، مسهلا الامور ميسرا الصعوبات سيبعدان الارتباك والتردد والخجل والوجل والاحتشام والاحمرار والاصفرار وحتى الاخضرار ، ولا تجعل خطبتك بتراء بل عطراء وأبدأ قبل كل شىء وقبل أن تصل اليها وتقترب منها وتدنو ، باسم الله ، وبالله ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم أنعمت فزد من هذا الجمال الأخاذ ثم توكل على الله ، وقل لها الكلمات التى قالها لك سالم آه ولا تجعل خطبتك عشواء ولا شعواء ولا عشاء . يا طيب يزى عف كف ، يزى يزى يزى .

كف ، يزى يزى يزى . فلا يدخلها اضطراب ولا الاقضاب وتسهل للمعانى وتبسط فيها ولا تترك صوتك تدخله بحة ولا تقتحمه كحة ولا تطرأ عليه لحة ولا تترك لسانك يصيبه شد أو حصر أو عقدة أو لجلجة ويبقى يجول فى فضاء فمك وتبقى الفتاة الجميلة الاخاذة واقفة ذاهلة مرتكبة ساهمة حيرانة

منتصة تصغى ولا تسمع غناء ولا صوتا ويثقل الموقف ويطول وتبقى الكلمات فى صدرك ولا ينطلق بها جنانك .

ونصيـــح :

يا طيب بالله كف بالنبى محمد اسكت ٠

وثار الطيب وصار لا يسمع ولا يعى وكأنه فى حضرة أو فى اصطنبالى وأتت نوبته فقام قائمه وجن جنونه يرغى ويزيد وكشاكشه مكشكشة بيضاء ـ والا حسن من الكل والأكمل والأجدى والاشد منفعة والانجع والانجح والاصوب ان تنقض عليها انقضاض الاسد وتقبل خديها وانفها وشفتيها ولا تتركها حتى تقول لك أنا أحبك وأحبك وأهواك ولا أهوى سواك . ثم امسكها من يدهـا وانطلق بها وعرفنا أن الطيب سوف يسكت ابد الدهر ولا يهجع فاغلقنا لـه فمه فبقى زمنا يهتز وينتفض ويتخبط والكلمات تنطلق من بين أصابعنا منبعثة كالحبات ٠٠ نموت بين أيديكم والله نموت ، أنتم يهود ، تحرمون على كلام رب العالمين ٠٠ الله يحاسبكم ويدخلكم نار جهنـم ٠٠

ـ يتبـع ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـى أعـدادنـا القـادمـة :

السنيور دافع الاجور ..... تعريب : محمد مزغيش
احزان الليل والنهار ..... جمعة محمد جمعة
السقوط من الدور العاشر ..... المصطفى أجماهيرى
قمر الحب ..... حسنى سيد لبيب

وغيـرهـــم ...

مـاري عيلبـونى

الـبــوابــة

رائحة تغزو الحواس · هى لحظـة · اسكتى · العالم قطـرة بعيدة · خيط دخان · تعالى ·· إنها الرائحة :

ـ هل أتى أحـد من هنـاك ؟

تعلو الاصوات الباكية · وتلتحم الأكتاف ·· والسؤال الكبير الذى تصرخ به عيناهـا :

« ماهـذا ·· ؟ »

تتشبث بذيل ثوب الأم والخوف من هذا الازدحام يهز قلبها الصغير ، وتضع الشمس ثقلها فوق رأس الطفلة والعطش يصرخ فى حلقها من العطش ·

ـ أريـد أن أشـرب ·

ـ اسكتى ·· من أين آتى لك بالماء ·

ـ عطشانـه ··

ـ اصبـرى الآن ·· سوف يأتـون ونشرب ·

يعلو الطريق ·· والحجارة المزروعة فيه تعـوق سرعتهما · تستحـث الأم الخطى .. والـرائحة تزداد اقترابا لتغـزو الحـواس وتعشعش فيهـا .. عنـد المنعطف يقترب باب الكنيسة العالى · أضواء خافتة تتلالأ من النوافذ · يصل الى السمع صدى صوت مرنم هادىء · رفعت الأم يدهـا ورسمت علامة مـا فوق وجههـا ·

ترتفع الطريق من جديد ، والرائحة تخترق الصدر · فتلملم أشلاء فرحها ·· لقـد اقتربنـا ·

(للغد موعد آخر .. لعل الغد يحمل عيونهم إلينا . تـرى هـل ستعـرفش العيـون ؟ .. ترى هل كهلت مآقيها .. ؟ إلهى .. أرسلهـم إلى .. ساعدنى لآراهـم) .

دخل الأب يحمل فى يده جواز السفر . مده لها قائلا :

ـ كل شىء جاهز .. غدا يمكنك السفر ..

ـ وأنا يا أبى هل سأذهب معها ؟.. سأذهب معها أليس كذلك ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكن لا تعذبيها ، يجب أن تسمعى كلام أمك ؟

حملت الأم جواز السفر وأومأت اليه : أن اقترب . دنا منها بخطى وئيدة . سألته بهمس .. « هل دبرت نقودا » . نظر إليها بطرف عينه وثبت النظر فيها . وبصمت انسحب تاركا خلفه ورقة مطوية .

أمام شباك صغير . وقفت الأم تنتظر حتى ينادى عليها ، تمسـك الطفلـة حينا ، وتصرخ بها ألا تبتعد حينا آخر . والصغيرة تسل يدها من قبضة الأم وتلحق ببائع الحلوى تشير من بعيد بأصبعها الصغير « أريد من هذا .. »

ـ ما اسمك ؟ (سألها الضابط) .

ـ اسمـى (..)

ـ أين الصغيرة التى معـك ؟

ـ إنها هنا . تعالى يا ملعونة والله لأنتفك .

ـ يجب أن تدفعى عليها عشر ليرات .

بعد أخذ ورد نفد معه صبر الأم ، مدت للضابط وهى تدعو على ابنتها :

« الله يأخذك .. لو لم أجىء بك لما دفعت هذا المبلغ » .

من البعيد أطلت أنوار عالية . سبقتها أغوار خضراء يانعـة . سألـت الأم السائق :

ـ هـذه إربـد أليس كذلك ؟

ـ نعم .. هل زيارتك لها أم ستتابعين .

ـ سأتابع الى القدس . ربما يأتون هذه السنة .. سأذهب لانتظرهم عـند البوابـة .

.. ممر مظلم . عند آخره يتسرب ضوء شمع الزوايا . رائحة الزيت والبخور تملأ المكان صدى أصوات تتمتم . صوت مسبحة الراهبة يعلن عن اقترابها . أشخاص يمرون قرب تمثال كبير ورجل يبسط يديه الممدتين على خشبة ، اكليل من شوك وضع على هامته . يقترب الناس منه ساجدين أمامه .

اقتربت الأم ووقفت أمام تمثال الرجل . ركعت بركبتيها تحت قدميه : (يا يسوع .. اسمع صوتى لم أرهم منذ عشرين عاما . اشفع بى وارسلهم) . رسمت تلك العلامة على وجهها وانسحبت تمسح دمعا بلل منديل رأسها .. والطفلة تمسك بذيل الثوب . أخافتها تلك الراهبة ذات الرداء الأسود والمسبحة المضيئة .

ـ تعالى .. انظرى .. هنا بئر الأموات .

للبئر غطاء نحاسى مدور .. مثقب بثقوب صغيرة .. ويرتفع غطاؤه عن الأرض قليلا .. تصعد الأم درجة واحدة . تضع وجهها أمام الغطاء وتنادى .. نظرت للطفلة وشدتها من يدها .. همست فى أذنها :

ـ نادى بصوتك على أخيك الميت عيسى .. وسترد روحه عليك . ببطء اقتربت الطفلة من البئر . أطلت الى أعماق البئر . أرهبتها أضواء شمعدان دائرى وضع تحت الغطاء النحاسى . رغم ذلك أحست بنسمات باردة تهب من الثقوب على وجهها .

ـ هيا .. لم هذا الخوف ؟ نادى بصوتك فى البئر عيسى

ـ عـ .. يـ .. سـ .. عـ

رد عليها من أعماق البئر صدى صوت حزين متقطع . شعرت الطفلة ببرودة تلفح جسدها وماء غزير يتصبب من جبهتها . التصقت بالأم طالبة أن تخرج . لكن الأم تتبرك من تلك الصورة ، أو ذاك السيد المصلوب . أو تحمل بقطنة الزيت المقدس وتمسح على جبين الطفلة راسمة علامة الصليب .

شمس عيد الميلاد تزين أرض البوابة . ويسوع ذلك المعلق على خشبة يجمع شمل الجسد الموزع أمام البوابة الضيقة أعين تبحث بين العيون علها تلتقط أحدهم . العويل يعلو والزفرات تخرج ساخنة من النفوس ، والطفلة تتشبث

بذيل ثوب الأم وتلاحق بعينيها بـائع (الكعـك والمعـروك) المتجـول بيـن الأجساد المتلاصقة تهز طرف الثوب منادية أمها :

ـ أمى أريد كعكا ·· اشترى لى واحدة ·

ـ أف ·· ما أكثر طلباتك · ليس وقتك الآن ·

ـ ولكـــن ··

ـ اصمتى سيحضرون الكعك معهـم ·

شدت الطفلة بذيل الثوب ساكنة · لكن عينيها ما فتئتا تلاحقـان الكعـك وبائعه وهو يخشخش بالقطع النقدية المعدنية فى جيبه المربوط حـول بطنـه وينادى : (الكعة بقرش ·· الكعة بقرش) ·

دفعة أخرى تخرج عبر بوابة « ماندلبوم » ، وتعلو الرؤوس وتشرئـب علها تلمح قادما تألفه · ولم تعد الطفلة تبين بين الأجساد الملتحمـة · غابـت بين سيقان الحشد الهائل ·· صرخت : (أى ·· أى ·· يا أمى لقد دعسوا على) · تزداد يدها تشبثا بذيل الثوب خوفا من أن تضيع · يأتيها صوت الأم مخنوقا :

ـ لا تخافى يا ابنتى .. تمسكى بى جيدا . ساعة أو أخرى ويأتون .

كفركنـا ويا عاليه وبرأس تلـة
فيـك العيش للجوعـان تلـة
ريـت اللى حرمنـا اياك يبـلاه بعلـة
يموت وينحـرم ثم الهـوى

ـ ما بالك تبكين يا أمى ؟

ـ لا شىء يا بنتى ·· كان صوتا من الماضى ··

يقترب الاتون يحملون الأكياس والحقائب . متثـاقلين فى مشيتهم · على البوابة تعلو النداءات · من عرف له أخا أو أبا أو قريبا ، ينادى عليـه بأعـلى صوتـه ·

تزداد الأم التصاقا بالبوابة والخارج منها ، والطفلة لا تزال تتشبـث بذيل ثوب الام .. خرج شاب طويل ملتح يحمل على كتفه حقيبة . وفى كلتا يديـه حقيبة . اعترضته الام والدمع يعلن نفاد صبرها .

ـ قل لى يا ولدى وأرحنى ، هل أتى أحد منهم ·

ـ مـن تريديـن ·· ؟

ـ أخى .. وأختى .. وأولادهـم .

ـ أنهـم خلفى .

هناك حيث دمع اللقاء يختلط بدمع الوادع . وحيث لا تعـى الـوالدة على وليدها . التقت بهم . بعد عشرين عاما .

لم تكن القبلات تعبر عن فرحة اللقاء . والعناق الطويل يحكى قصة السنين ، قصة الماضى وآلام الحاضر ومن تخونه قواه يغيب فى إغمائه لا يصحو منها حتى يغيب فى أخـرى .

سـؤال لا ينتظر جوابا .. وعناق يتبعه عناق .. والطفلة تبكى لبكاء أمها والآتين الراحلين . وتسكتها مداعباتهم . وتتشبث بذيل الثوب ، وفى عينيها سؤال عن كعـك .

ـ هل سأعيش حتى أراكم فى العام القادم .. ؟

ـ لا تنسى أن تزورى قبر أخى وتضعى عليه باقة زهر .

وقبل أن تأخذهم البوابة .. مدت إحداهن صرة صغيرة ودستها فى يـد الأم مؤكدة لها انها لم تتمكن من جلب المزيد. سال لعاب الطفلة وتوفزت لاختطاف الصـرة ..

الحشد يلتحم .. يتعانق .. يتفرق .. ويعود فى حركات لولبية كأنه يلوى على بقاياه .. حديث فقراته شهور .. يدور ولا يغادر نقطة البدء . سـلام .. بكـاء .. فسـلام ..

بـدأ الخريف يشتت بقاياهـم
ريـاح عاتيـة تشـد شعر الزهـرة
تؤلمهـا .. وتشـد
تصـرخ زهـرة الجبـال
آه .. لا ..
لـن ارحـل .

ـ هزت الطفلة ثوب الام تسألها بغيظ :

ـ قلت انهم سيأتون بالكعك .. فلماذا أتونى بصـرة تـراب ؟؟؟

مـاري عيلبـوني

نـور الدين بـن بلقاسـم

القـريـة والـذبـاب

عندمـا تحرك العمدة فـى كرسيه تدعدع جسمـه المشحم ، ونـزل بطنـه المتهدل أكثر الى الاسفل . ورغم اتساع الجبة التى حشر جسمه فيها ، فانها لم تفلح فى اخفاء كثافة لحمه وشحمه .

كان طول العمدة قد تلاشى فى عرضه ، وكان ذراعـاه عريضين وقصيريـن وخداه منتفخين تعلوهما حمرة قانية ، ومن فكه الاسفل تدلت كتلة من اللحـم المشحم حتى كادت تقع على صدره ، واطل منخره المغطى بشعر أسود كثيف من وراء رقبة قميصه المفتوح .

وكان للعمدة عينـان حادتان كنسر يتصيد الفرص ، تعلو بيـاضهما حمرة طفيفة ، وفوق عينيه حاجبان كثيفان أجعدان ؛ وكان يتنفس بصعوبة وضيـق وانفعال برغم أن الصيف قد مر ودخل الخريف ، الا ان الحـر لم يذهب مـع الصيف ، بل زادت حرارة الجو ، وزاد الطين بلة حرارة الرياح الصحراوية التى تهب من وقت لآخر محملة برمال صفراء تؤذى العيون ، وتجد مستقرا لها فى شعر الرأس والاذنين ، ويتسرب منها غبـار رقيق الى البدن فيسد مسامه ، ويمنع ما يفرزه البدن من عرق عن الخروج .

أخذ العمدة المروحة المصنوعة من سعف النخيل ، وشرع يمروح بها حتى يخفف عنه الحـرارة ، ونادى بصوت أجش ـ فيه نبرة قاسية ـ رجلا نحيـلا يقف بالباب ، وامره بأن يناوله كأس شاى وكاس ماء بارد يصبه له من الجرة .

لم يتأخر الرجل النحيل فى تلبية طلـب العمدة ، قدم له كأسين ، ووضـع كاس الشاى على ورقة حتى لا يلتصق ما فاض منها من شاى علـى الطاولـة ؛ فأخذ العمدة الكأس وترشـف رشفة قوية وطويلـة فسمع الشبان الجالسـون امامه ـ على مصطبة طويلة ـ لرشفه قرقرة ، تقـزز بعضهم منهـا ، وابتسـم

البعض الآخر خفية ، وقد بدأ كل واحد منهم يتململ فى مكانـه ، ويتحـرك بملل ظاهر .

منذ الصباح جاء هؤلاء الشبان الى العمدة طالبين منه الحاقهم بشغل ، فهم عاطلون عن العمل ، بعضهم مطرود من المدارس وبعضهم من الذين لم يسعفهم الحظ بد خول مدرسة ؛ وبعضهم من الذين كانوا يعملون بالخارج مثل فرنسا والمانيا وبلجيكا و ... ورجعوا بعد غربة طويلة ولكنهم وقعوا فى البطالة مـن جديد .

سأل شاب وسيم العمدة ـ وكان يبدو عليه الحزم والجد ـ :

ـ ما هو جوابك يا حضرة العمـدة ؟ .

رفع العمدة رأسه وحدق فى وجهه ثم قال :

ـ ليس لدى حل ! عليكم بالانتظار !

ثم قام العمدة لبعض شأنه . فقال الشاب الاول فى لهجة منفعلة :

ـ الانتظار ! الانتظار ! لقد انتظرنا طويـلا ! ؛ منذ شهـور ونحن نمشـى ونجىء الى مكتب هذا العمدة ولا نسمع منه فى كل مرة الا كلمة الانتظار .

وقال الشاب الثانى فى اقتضاب :

ـ نحن قوى عاطلة لا بد ان تنفـــع .

وعلق الشاب الثالث :

ـ ان حل الهجرة هو الامثل !.

فعلق الشاب الرابع فى لهجة ساخرة :

ـ ابحث عن وامطة حتى تستطيع ذلك !

قال الشاب الخامس وكان ينظر الى الارض مستمعا الـى محاورة أصحابـه

ـ ان الهجرة حل خطير ، فالحل يجب ان ينبع من أرضنا .

سأله الشاب السادس فى غير مبالاة :

ـ ماذا تعنى يا حضرة الفيلسوف ؟

أجابه بلهجة حزينة :

ـ يجب أن تزاح القطط السمان عن طريقنا .

فعلق الشاب الثامن قائلا :

ـ ولكنكم أنتم تسعون الآن الى أن تكون قططا سمانا !

فرد عليه الشاب الاول قائلا :

ـ كل واحد له مطامح ، لكن يجب أن لا تكون على حساب الآخرين .

فسأل الشاب الثالث مستفهما :

ـ أنا لم أفهم ما تعنيه بهذا القول .

أجابه الشـاب الاول :

ـ ان الحضارة فى رأيى لا تعنى « تربية الفرد » حتى يشعر بحقوقه وحقوق الآخرين ، وحتى يحس بالوضع البشرى ، ويلتمس للناس الاعذار ، ويسعى لخيرهم مثلما يسعى لخير نفسه ؛ ان من لا يفعل هذا هو متوحش بعيد عن الحضارة ولو سكن القصور ولبس الحرير وركب الصاروخ .

أردف الشاب الثالث مستفهما سائلا :

ـ أتعنى بقولك هذا أولئك الذين يلهثون وراء التكاثر فى المال من سيل الحرام والحلال ، فيشبعون ويحيون حياتهم طولا وعرضا ، بينما الآخرون يموتون جوعا ؟.

أجابه الشاب الاول :

ـ اعنى هذا وأعنى غير هذا .

أضاف الشاب الخامس كأنما يحدث نفسه :

ـ يخيل الى أن العالم مقلوب يمشى على رأسه .

وعلق الشاب الرابع قائـلا :

ـ فى عصرنا الصاروخى صارت القاعدة استثناء والاستثناء قاعدة .

ضحك الشاب السابع وقال :

ـ لا تأسف ! فترسانات القنابل النيترونية فـى هذاالزمان وضعتنا علـى أبواب الآخـــرة .

قال الثامن فى لهجة يائسة :

ـ ليكن ما يكون ما دمنا فى عالم لا نشارك فى بنائه .

دخل العمدة فسكت الشبان ، جلس العمدة على مهل فوق كرسيه ، ورفـع ملفات فوق الطاولة وحطها . ثم هز رأسه وقال للشبان فى بطء :

ـ أنتم تعرفون أن هذا الفصل فصل خريف ، وقد جار فيـه الذباب علـى القرية ، فبامكانكم أن تشمروا عن ساعد الجد وتريحوا القرية منه .

امتدت أعناق الشبان نحو العمدة ، وتحفـزوا ، وتسمرت عيونهم عليـه ، وسألوا العمدة بصوت واحد فى اندهاش :

ـ كيف يكون هذا العمـــل ؟.

أجابهم العمدة وهو يمسح شفتيه من بقايا الشاى بمنديله :

ـ الامر بسيط ... يصطاد كل واحد منكم كلغرامـا من الذبـاب وسياخذ مقابله دينارا كاملا !.

التفت الشبان الى بعضهم بعضا ، وتبسم بعضهـم فى سخرية ، وتململ بعضهم فى مكانه ضيقا ومللا ؛ وخاطب أحدهم العمدة بلهجة حزينة :

ـ ألا يوجد شغل غير هذا يا حضرة العمدة ؟

قال العمدة فى لهجة قاطعة :

ـ هذا الشغل الوحيد المتوفر الآن فى السوق !

ساد القاعة صمت عميق ، أطرق أثناءه الشبان الى الارض ، وبعد تفكير قال الشبان بمضض :

ـ لا بد مما ليس منه بد !

ثم ذهبوا لاصطياد الذباب فى الازقة والشوارع والاماكن العامة .

وبعد أيام رجع كل واحد منهم الى مكتب العمدة يحمل صرة من محصول صيده .

أمر العمدة الرجل النحيل بأن يأتى له بميزان من الحانوت المجاور ، أخذ العمدة الميزان ووضعه فوق مكتبه العارى ، وشرع يزن الصرر المرقمة بأرقام متتالية ؛ ثم أخذ ورقة وشرع يكتب فوقها وزنة كل صرة .

بعد ان وزن العمدة الصرر ، وسجل مقاديرها على ورقة . مسك هذه الورقة بيديه ، ووقف وقفة أرادها أن تكون مستقيمة ، ولكنها بقيت معوجة بسبب استدارة بطنه . أخذ يسرد على الشبان قائلا :

ـ الصرة الاولى ناقصة نصف رطل ! والثانية ناقصة مائة غرام ، والثالثة ينقصها خمسون غراما ... والعاشرة ينقصها بعض ذبابات عن التمام

سكت العمدة ، ونظر وجوه الشبان وأردف قائلا :

ـ عليكم باتمام الوزنة لكل صرة !.

أطلق الشبان تنهيدة فيها الحسرة وفيها الالم وفيها الغيظ المكبوت .

ثم خرج الواحد اثر الآخذ بعد ان اخذ صرته ، وكان الحزن يجلل خطاهم .

فى رحبة القرية جلس رجال كثيرون يتحدثون ويلعبون الورق .

قال رجل وفى صوته نبرة ألم :

ـ أتعرف اليوم ماذا وقع ؟ .

أجابه بعض الرجال وقد فاجأهم السؤال :

ـ الا تعرف شيئا !

حدثهم الرجل قائلا :

بالامس جلسنا جماعة فى حانوت العم (نعسان) نتحادث ونشرب الشاى ، فاذا بجماعة من الشبان يهجمون علينا صفعا بالاكف ، وضربا بمناديل بيضاء كانت على ظهورنا أشد من السياط .

ولما قمنا قياما على اطراف أرجلنا فزعا واحتجاجا واستعدادا للدفاع عن النفس ، اعتذر لنا بعضهم فى صفاقة وقال :

ـ العذر .. العذر .. اننا نقوم بعمل كلفنا به العمدة !

فصاح فى وجهه أحد الاصحاب قائلا :

ـ أتزعجون الناس وتقولون انكم تعملون !؟

قال أحد الشبان مفسرا للجمع الحائر :

ـ ان عملنا صيد الذباب . رأينا ذبابات على وجوهكم فأردنا قتلها ، فطارت فوقعت الصفعات على وجوهكم دون أن تصيبها .

ثم ابتعد هؤلاء الشبان عن مجلسنا يترافسون ويعدون كما تعدو الثيران الهائجة .

وحكى صاحب مطعم كان من بين اصحاب المجلس فقال :

ـ وانا جرى لى فى مطعم ما جرى لكم فى مجلسكم ! فقد كان الزبائن أثناء الغذاء يأكلون فى المطعم ، وكان بعضهم جالسا ينتظر دوره للاكل ، وكان بعضهم الآخر لا يزال داخلا ليأخذ مكانه بين الرواد ، واذا بجماعة من الشبان منفوشى الرؤوس مهدلى الشعور ، طليقى اللحى يحملون مناديل بأيديهم ، ويهجمون على الزبائن صفعا ولكما ، فقام الرواد للدفاع عن أنفسهم ، فتطايرت الصحون والكؤوس ووقعت مهشمة ، وتساقطت الملاعق والشوكات والسكاكين فى كل مكان من ارضية المطعم ، وصاح أحدهم فينا بفم واسع عريض كأنه مغارة مهجورة :

ـ من كان همه فى بطنه قيمته ما يخرج منها .

ووقف شاب آخر على عتبة المطعم وزعق بشدق موحش :

ـ استفيقوا أيها الانانيون ، وعدلوا ساعاتكم ... واحذروا الطوفان فالقطار يعد سريعا ...

فنازعتنى نفسى على ان أضرب رأسه بساطور كنت امسكه بيدى واقطع به اللحم ، وهممت بذلك لولا أن تدخل شرطى كان يقف قريبا من المطعم

ـ لم يقصد الشبان ضربكم ، إنما قصدوا صيد الذباب الحاط على وجوهكم والراكس على أوانى المطبخ ؛ انه عمل رسمى كلفهم به العمدة .

اندهش رواد المطعم لما سمعوا هذا من الشرطى ، وكبتوا غيظهم وانفعالاتهم على مضض ؛ بينما انصرف الشبان لا يلوون على شىء وهم يعدون ويلوحون بالمناديل البيضاء .

وحكى رجل ثالث فقال :

ـ كنا نتناول الخمر فى حانة الشيخ (نعسان) ، واذا بالشبان الذين تحكون عنهم يقفون امام الحانة ، فيحدثون هرجا وضجيجا ، ثم يصيحون بصوت واحد رفيع حاد قائلين :

ـ ايها السكارى النائمون استفيقوا فالشمس مشرقة وأنتم لا تزالون فى الظل !..

وكادوا يدخلون علينا ويفعلون بنا نفس الافعال ، لولا ان تصدينا لهم بالقوارير فانقلبوا على اعقابهم وقصدوا وجهة اخرى .

ضج أهل القرية من حياة الخوف والاضطراب ، واجتمعوا رجالا ونساء للبت فى مصيرهم .

قال رجل طويل بدين :

ـ ان هؤلاء الشبان قد أقلقوا راحتنا ، فعلينا ان نطهر القرية منهم ، فهم سبب بلوانا .

وقالت امرأة بدينة يبدو عليها الرخاء :

ـ نحن لا نرغب فى التهريج ، نحن نريد أن نحيا حياة هانئة ، فعليكم ان تعاقبوا هذه الشرذمة .

اجابها شاب وسيم نحيل بلهجة هادئة :

ـ ليس الشبـان هـم السبب ، ان العمـدة رأس البـلاء ! أردف الرجـل الطويل البدين :

ـ لقد قام العمدة بواجبه لا غيـــر .

رد عليه الشاب النحيل قائـــلا :

ـ لقـد اراد تشغيلهم بهذا الشغل أن يصرف أنظارهم عـن أملاكـه التـى حوشها بغير حق .

تكلم احد أنصار العمدة فى اندفاع قائلا :

ـ وما دخل الاملاك فى قضية الحـــال ؟ .

أجابه الشاب النحيل الوسيم :

ـ أليس العمدة سبب الفقر فى القرية ؟

سأل رجل آخر وكان من انصار العمدة وخدمه :

ـ أيكون واحد سببا فى فقر جماعة ؟.

أجابه الشاب النحيل الوسيم واهل القرية يستمعون :

ـ يكون ذلك كذلك اذا كانت الجماعة مغفلة والواحد ذئبا صائدا .

وتكلم شاب آخر من معارضى العمدة قائلا :

ـ ألم يشتر العمدة مزرعة العم صالح بكيس من الدقيق ، ومزرعة الارملـة حليمة بكيس مـن الذرة ، ومزرعة العم رجب بخروف وبعض دنانير ؛ وهدد العم عبد الله بـأن يدخله السجن اذا لم يبع لـه المزرعة المجـاورة لمزرعـة كرومـــة ، و ... و ... و ...

أضاف الشاب النحيل الوسيم متسائلا :

ـ لو كانت هذه المزارع عند أهلها الحقيقيين المستحقين لها هل تنتشر البطالة بين أهل القرية ؟.

تكلم الحاضرون بصوت واحد :

ـ لا .. لا .. لو وزعت الارض على الناس لتطير الناس !

أردف الشاب الوسيم قائـلا :

ـ الارض التى افتكها العمدة بالحيلة والدهاء والمكر .

اندفع شيخ الجامع وقال :

ـ ان هذا حرام ! كيف تخول لكم نفوسكم أن تأخـذوا رزق الرجل بغيـر حق ؟.

أجابه الشاب الوسيم النحيل :

ـ الحرام أن تعيش فئة قليلة بأموال المغفلين ، وتموت الاغلبية بالخصاصة والحاجـــة .

من الغد زحف أهل القريـة على العمـدة فعزلوه ، ووزعـوا مزارعه علـى المستضعفين ، ونصبوا مكانـه الشاب النحيل الوسيم عمـدة فيهم ، يسيـر شؤون القرية بأمرهم واجماعهم .

فتغير حال القرية منذ ذلك اليوم .

هبيرة فى 1983/9/21

نـور الديـن بن بلقـاسم

إشكالية تحديد الجسد وبناء الذات فى رواية « خطوط الطول ... خطوط العرض »

« غياث داوود » بطل اشكالى حسب المفهوم « اللوكاتشى » للاصطلاح أى أن دلالته الرمزية تتجاوز السياق الآتى والظرفى ، فهو تكثيف لعصر كامل بكل ما يعنيه من علاقات اجتماعية قائمة وتركيبات ثقافية مسيطرة . ولعل من خصوصيات « البطل الاشكالى » سواء فى المفهوم الكلاسيكى (لوكاتش) أو المجدد (غولدمان) أنه استبطان لا ارداى للبنية الاجتماعية والثقافية وتلخيص لقيم ومفاهيم الهياكل السائرة . ولعل « غياث داوود » فى رواية « خطـوط الطول .. خطوط العرض » يلتقى فى العديد مـن الخصائص الميكانيزمات مـع « « دون كيشوت » لسار فانتس ، حيث يصفه الكاتب « لوكاتش » فى كتابه « نظرية الرواية » بأنه اشكالى فى سياق حضارى يتميز بهيمنة الاقطاع والقيم الاقطاعية . غيـاث ودون كيشـوت رمزان لا يفترقان ينطلق الاول فى غـزو محطات القمع المخفية بحثا عن الذات فى جذر آلنواهى والمحرمات والمكبوتات ، بينما يتحرك الثانى فى اطار العقلية الاجتماعية للعصر القرووسطى ليغـزو كل الطواحين والقلاع .

ان « غياث داوود » يتحرك فى حيز غربى واسع وممتـد ولكنه متجانس ، واحد فى هويته وواحد فى واقعه الحضارى . ولقد تعلم « غيـاث داوود » (I) أن يكون رد فعله عنيفا تجاه الانسحاق الذاتى والثقافى ، ولذلك فهو يمارس ذاته ويحقق حضوره على مستوى الحيز الجغرافى والاجتماعى بقساوة لا تضاهيها أية قساوة I فيتحول هذا الوطن الممتد الى جسد يعيش حالة من البحث عن أعلى مراحل الاشباع والرواء : ومع هذا فأنت تعيش حيـاتك كفنـان وهـذا

(I) خطوط الطول .. خطوط العرض ، ص 216 .

يكفيك اليوم ، أيامك تختلط ، البوهيمية بالتشرد ، النفي الاختيارى بالقليل من الجنون بالسكر .

ان هذا البحث المتواصل حول الكيان الوجودى « لغياث داوود » الى كيان متضخم مكثف ومحتقن ، لان « الانا » التى تخضع للضغط تولد حالتين : اما انكفاء وانحباسا داخل الكيان الداخلى ، واما تفخما وانتشارا يسود العالم الخارجى . ولذلك فالطموح الاساسى لهذا البطل هو تأكيد الذات وطمس كل معالم الضعف والوهن التى من شأنها أن تترجم الى حالة الصفر .. لحظة التناسى اللامبالاة التى كان يقابله بها المجتمع . ولعل الملاحظ فى كامل الرواية هو سعى « غياث داوود » الى اختطاط حد فاصل بين مرحلتين من مراحلَ حياته فأشياء كثيرة فى المرحلة الاولى تطمس فيه الذاتية المتوقدة : الفحولة / المرأة / حب الظهور / ،، وأشياء كثيرة تذوب فيه كل خصوصيات « الانا » .. باختصار إنه عالم الذوبان المطلق والضياع اللامحدود .

ولقد كان واضحا فى ذهن « غياث داوود » أن العالم أرحب وأوسع من هذه البيوتات الواطئة التى انطلق منها ، ولذلك كانت كل المحطات التى عرفها فى حياته (بيروت ـ تونس ..) مراكز لاسترجاع الثقة بالذات وتدعيم حضور « الانا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل الميدان الاول الذى تتأكد فيه ذاته هو ميدان المرأة حيث يسجل من خلال ربطه العلاقات معها ، تحديا للعلاقات الثقافية الكبوتية ولكل الرموز الابوية القائمة داخل المجتمعات العربية فالملاحظة فى هذا الاثبات للذات هو طابعه العنيف والقسرى ، اى تحديه للبنية القيمية القائمة فى مجتمعه .

ان كيان « غياث داوود » لا يمكن أن يكتمل الا بهذه الكائنات التى تحوم حوله فتعطيه المعنى والدفء والثقة بالنفس ، وهو ما يجعله المركز péri phérie فى هذه الرواية وبقية العناصر الاخرى اطراف مكملة لا غير . ولعل فى ذلك تذكيرا بالشكل الكلاسيكى فى الكتابة الروائية فكيف يمكن عندئذ تفسير هذا التكثيف للحضور الانثوى ؟ ان المرأة فى هذه الرواية رمز ثقافى بمعنى أنها تعبر عن طبيعة العلاقات الثقافية فى مجتمع من المجتمعات ولذلك لا يكفى أن نصف الواقع السياسى والاجتماعى لبلد ما حتى نحكم على

طبيعة اختياراته الاساسية بأنها ديمقراطية أو قمعية . ولا يكفى أن نصف ألوانا من التعذيب داخل الزنزنات حتى يكون حكمنا نهائيا على هذا النظام أو ذاك لقد أرادت الرواية أن تثبت أن العلاقات الثقافية بين الجنسين تحدد أيضا طبيعة العلاقات القائمة وتعطيها مدلولا حقيقيا وعمقا اجتماعيا . كما أنها أرادت أن تثبت ان الاختيارات القمعية على المستوى السياسى لا يمكن أن توازيها الا علاقات محافظة ووصائية على المرأة .

ان المجتمع الابوى والقمعى مجتمع محافظ على المستوى الرمزى (علاقات الجنسين ـ العلاقات الاجتماعية) ومجتمع مختلف من حيث الممارسة السياسية والعلائقية : وعرفت أنهم قد علقوك من ساق واحدة فى مروحة سقفية ، وخمنت أن ذلك ربما يكون قد دام يومين أو أكثر : جلدوك وصرخت وشتمت أول الامر ثم كف جسدك عن المقاومة ، وأصبح مجرد جثة مدلاة ينبض فيها قلب متماوت بوهن وخفوت) (2) .

وهكذا تتحدد الصفة الرئيسية للقمع ، فهو شمولى أى إنه يشمل كل الاصناف الموجودة فى المجتمع ، فالقمع لم يعد ـ كما يتصور البعض ـ كتلة منحسرة ومنكفئة على ذاتها ، بل أصبح قاسما مشتركا يشمل كل مجالات الحياة .. الجنس (العمل) الابداع . إن الظاهرة الحديثة التى يشهدها العالم المعاصر فى ظل التقسيم العالمى للعمل والعلاقات الرأسمالية ، وليس الشكل الظاهرة لهذا القمع المباشر ، وانما هو مستمر ومتعدد الوجوه والجوانب . وتليفون بيتنا كذلك منذ أن سقطت قذيفة على العمود الواقع فى رأس شارعنا والعطب ملازم له ، يعمل يوما .. وليس هناك جهة تشكو اليها ليتم تصليحه) (3) .

وحين يعلن « غياث داوود » الرفض لهذه العلاقات الثقافية ، فانه يعلن الرفض على مجموعة من الهياكل التى تقوم على التخضيع والتركيع : أولا : المؤسسة العائلية التى تعتمد فى عملية التنشئة الاجتماعية على تقاليد من الطاعة المبالغ فيها وقيم ثقافية مهترئة . ثانيا : العلاقات الاجتماعية التى

---

(2) رواية : خطوط الطول .. خطوط العرض ، ص 242 .
(3) نفس المصدر ، ص 214 .

تعيد إنتاج مختلف رموز التفاوت الاجتماعى والفـرص اللامتكافئة . ثالثا : البنية الثقافية المحافظة فى أغلب الاحيان والتى تساعد على قمـع الطموحات الفردية فى تأكيد الذات .

فالواجهات التى يتحرك فى اطارها « غياث داوود » واجهات متعددة ومكثفة المشارب والاتجاهات ، ولعل أولى هذه المشارب تحديد الجسد وجعله فى حالة اشباع تام ، ولذلك تحول الجسد الانسانى الى قطب محرك وطاقة فاعلـة فى البناء الروائى . وهذا الجسد يبحث عن حالة الرواء والاشباع القصوى التى تسمح له بأن يتوحد بهذا العالم . وهذا التزاوج بين « غياث داوود » والجسد يعنى ببساطة أن التحرر ليس فقط سياسيـا بمعنى أنـه تخلص من القمـع والفقر ، بل يعنى أيضا التخلص من أصناف الكبوتات والعنف التى يتعرض لها الجسد العربى بفعل الثقافة المحافظة .

ان تحرر الجسد العربى يعنى عقلنة التعامل بين الجنسين وعلمنة الحيـاة الاجتماعية ، لان الاشبـاع الجسـدى شكـل من أشكـال التعبيـر الحضـارى والابداعى . ولكن هذه العلاقات ما زالت فى الوطـن العـربى تعيش حالة من القحط والاحباط والجدب الناتج عن المناخات السياسية والثقافية . وليس من شك فى أن الوطن العربى ينام على فضيحة : (« غياث داوود » أننا ننام على فضيحة ، وستنكشف يوما ، وآنذاك لا أدري ما الذى سيحصل ؟. كن واثقا بأننى سأكون أول ارهابى فى هذه الامة وفى هذا الوطن الذى تفاخر بامتداده من المحيط الى الخليج) (4) .

وليس ثمة ما هو أقسى من قمع الجسد ! وليس من باب الصدفة أن تنصب كـل أشكال القمـع عـلى الجسد فى الوطـن العـربى . ولقـد تنصـب كـل أشكال القمع على الجسد فى الوطن العربى . ولقد تفطن « غيـاث داوود » الى هذه المعادلة الصعبة وهى معادلة تحرير الجسد وايفائه حقه كامـلا . فكيـف كامل شخصيته وفق هذا المنظور والجسد فى هذه الرواية ليس مجرد حاجيات بيلوجية تنتظر لحظة الاشباع ، وانما استجماع للتاريخ العربى قديمه وحديثه بما يعنيه من رموز قمعية واستبداد شرقى مقيت . إن عمليـة تكثيف دلالات

---

(4) نفس المصدر ، ص 276 .

الجسد وأبعاده الرمزية من التقنيات التى استطاع الروائى العربى النجاح فى توظيفها حسب سياقات مختلفة ومتعددة وليس سهلا أن يتحول الجسد كوحدة بيولوجية فى المفهوم الاصطلاحى الى رمز (ومن خصوصيات الواقع الغربى) .

وبطل فاعل (تكييف السلوك والمواقف حسب املاءات الجسد) وشاهد تاريخى (زمن النضال السياسى وزمن الترهل) .

ولعل البعد الازدواجى للجسد يتمثل فى أنه يمكن أن يكون مصدر احباط ، كما أنه يمكن أن يكون مصدر اشباع ودواء ولذلك فالسلطة السياسية تعتبر أن أحسن السبل للنيل من المناضل هى التخضيع الجسدى والقمع لمعنوياته ، وهو ما يعطى حالات قصوى من الاحباط النفسى والسياسى ولكن الانسان لا يمكن أن يتوازن نفسيا الا باشباع هذا الجسد ومنحه الدفء المطلوب . فالاحباط والاشباع يمكن أن يلتقيا فى نفس الجسد !

« فغياث » قد يكون يعيش حالة من الاشباع البيولوجى ظاهريا (مغامرات جنسية) ولكنه شاعر فى قرارة نفسه بمرارة الواقع السياسى وطبيعة الضغوطات المسلطة على كل فرد ولقد اكتشفت الانظمة الجسد ، فحولته الى أرض لاختبار تقنيات التعذيب والتخضيع والقمع النفسى . ولذلك تتعدد التجارب والاساليب حسب السياقات ، ولكن الهدف لا يمكن أن يكون الا مزيدا من « الالينة » للمواطن العربى .

يقول « غياث داوود » : (ان مصيبتنا فى هؤلاء الشرطة والذين هم غالبا كبير والفعل ، يسكنوننا منذ الطفولة ويحولون كل فعل نقدم عليه الى تابو وذعر فى السياسة وفى الدين والجنس ، نعم ارث مئات السنين من العلائق المريضة المتشابكة ، من تحدث بصراحة عن اللواط والسحاق والاستمناء والاغتصاب ومضاجعة الحيوانات » (5) .

---

(5) خطوط الطول .. خطوط العرض .. دار الطليعة ، ص ، ظ .

ولعل أول مظاهر القمع العربى ، اصابة الفـرد العربى بدأ الرهـاب كمـا يسمى فى علم النفّس . ومن خصوصيات هذا المرض تعجيز الفرد عن الحركة والمبادرة والفعل !

ولعل الوطن العربى كما يقول « غياث داوود » : مختبر كبير لتجريب ادوات القمع والعنف الرمزى والجسدى .

وهذا القمع المسلط على الرقاب فى الوطن العربى يعود الى لاعقلانية العمل السياسى فى الوطن العربى فهو عبارة عن لعبة يوظفها الانتهازيون لصالحهـم فى حين يبقى أصحاب المصلحة الحقيقية من كل تغير ، وهم الفقراء والجياع .. خارج اطار العمل السياسى الحقيقى : (لاننى لا أريد شيئا لى بقـدر ما كنت أريد أشياء للوطن كله ،، للفقراء والفاتحين أفواههم جوعا وهتافا ، ورأيت أناسا يصعدون وآخرون ينزلون ، وأحيانا الوجوه نفسها تتكـرر ، ولكـن بأقنعة أخرى ومنطق جديد حسب ما تقتضيه الظروف وكم رأيت من مخلوقات هلامية تتألق) (6) .

فالعمل السياسى العربى مصدر احباط دائم ومستمر لكم المناضلين الذين ينسحبون من الساحة تاركين الفـرصة للانتهـازيين ولكن هـذا الصنف من المتسلطين لا يهمه غير وضعه المادى وطموحاته المستقبلية ولو أدى الامـر الى موت الملايين .

ان أهمية رواية :« خطوط الطول .. خطوط العرض » تكمن فى أنها فجرت دلالات الجسد وأعطته تعددية فى الايحاء والرمز . ولعل فى ذلك اضفاء لمسحة جمالية على التكنيك الروائى ، قد يعوض ثقل السرد والاستطراد .

ولعل النقطة الايجابية فى هذه الرواية هى عدم اعتمادها الخطاب السياسى المباشر والعلنى ، وانما هى تتف هنا وهناك تفيد عند تجمعها معانى عميقـة وغزيرة تطور البناء الروائى وتعطيه مذاقا متيمزا .

المنصـف ونـاس

---

(6) نفس المصدر ، ص 214 .

اجـرى الحوار : احمد ممـو

رضوان الكونى فى مواجهة أسئلة جادة وأخـرى غيـر جـادة

يقول جان فونتان عن رضوان الكونى : ،، ولد يوم 3 I ماى 945 I بالرقبة من ضواحى تطاوين ، أمضى فترة صباه بالاحياء الشعبية بين بـاب سـويقة والحلفاوين وكـان والده قد سمى قاضيا بتونس . وبعد ان انهى المرحلـة الثانوية من تعلمه بمعهد باردو (خزندار) دخل المدرسة العليـا للمعلمين ثم انتقل الى المدرسة القومية للاساتذة المساعـدين ومنهـا تخـرج سنـة 969 I كاستاذ مساعد . وتحول بعد ذلك الى فرنسا حيث أتم الاستاذية فى الاداب العـربية سنـة 975 I وسمى فى نفس السنـة مديـرا بالمـدرسة الثـانوية بتطاويـن ....،، (I)

فى نهاية خريف 967 I جاء رضوان الكونى فى امسية يوم سبت الى نادى القصة بالوردية . وكان ككل اولئك الذين يبحثون عن طريقهم فـى ميـدان القصة فى تلك السن وتلك المرحلة يعكس من خلال حركاته التردد والحاجة الى الاطلاع . وفى تلك الفترة كانت جلسات نادى القصـة تخضع لمراسـم وطقوس فيها الكثير مـن الاضواء الخافتة وبرد الزوايا والمقاعـد الوثيـرة العميقة وترشف كأس الشاى المموه . وكان الاستماع الـى اساطين القصة يتـم بكثير من الاطـراق والتمعـن اذ انهم قلـة ووراءهم تجـربة القصـة فى تونس . وكان نظام النـادى يضمن لرئيسه السيطرة التامة علـى تسييـر الجلسات وكانوا قلة اولئك الذيـن يغامرون بمقاطعة غيرهـم للتدخل فـى النقاش . وكل من ياخذ الكلمة يبدو مولها بها يقطرها حتى النخاع لكى تخرج من فمه عربية أصيلة (غريبة احيانا) تبحث لها عن صدى فى مجـالى البلاغة

(I) جان فونتان : عشرون سنة من الادب التونسـى (بالفرنسية) نشـر الدار التونسية للنشر ـ 977 I ـ تونس ، ص 4 I.

والفلسفة علـى الطريقة التونسيـة . فى تلك المرحلـة كنا نحـن (محمود انتونسى ، سمير العيادى ، رضـوان الكونـى ، ابراهيم الاسـود ، أحمـد ممو ...) نمثل « الصغار » اذ لم نصبح بعد « شبانـا » وكـان الشبان فـى تلك المرحلة هم : حسن نصر ، عز الدين المدنى ، احمد الهرقـام ، محمـد صالح الجابرى .. الخ .. ومن هم أقل شبابا ولكن بصوت مسموع فى ميدان القصة : مصطفى الفارسى ، الطاهر عمران ، محمد المختار جنات .. الخ .. وفى النهاية هناك العروسى المطوى والبشير خريف . فى ذلك المناخ تعلم الصغار أن يكبروا وتعلم رضوان الكونى ان يسمع صوته للاخرين وكان يجب أن تمر سنة كاملة لكـى تخرج القصـة الاولـى لرضـوان الكونى فى مجلة « قصص » (2) وهـى نفس المرحلة التى كان يتم فيهـا تعليمـه بمدرسـة الاساتذة المساعدين . ولكن قبل ان تخرج له القصة الاولى بمجلة « قصص » كانت « مجلة الفكـر » قد نشرت بضع قصص قصيرة (3) هى التى رسمـت بداية المسار الذى يعرفه انتاجه القصصى فيما بعد .

عندما يعن لبعض من يكتب عن « الادباء الشبان » الذين عرفوا فى نهايـة الستينات وبداية السبعينات أن يعدد اسماء من كانوا يكتبون القصة فى تلك المرحلة فان الكثير منهم يتحرج مـن حذف اسم رضوان الكونى مـن القائمة يؤكدون حضور رضوان الكونى فى تلك المرحلة ولكنهم قلة اولئـك الذيـن افـردوا دراسـات خـاصة بقصصه وذلك لاسباب لعل من أهمها ان رضـوان الكونى لم ينضو تحت أى تكتل أدبى كما أنـه لم يدخل فى يوم ما دواليـب

---

(2) رضوان الكونى : حافلة تمر ، مجلـة « قصص » عـدد 9 ، اكتوبـر 1968 ، ص 118 ـ 123 .

(3) رضوان الكونى : طيور دون ريش ، مجلة الفكر : السنـة 4I ، عدد 2 ص 30 ـ 39 (نوفمبر 67)

ـ ماساة الاب نصر الله ، مجلة الفكر : السنة 4I ، عدد 3 ، ص 23 ـ 27 (ديسمبر 67)

ـ جبانة المؤمنين ، مجلة الفكر : السنة 4I ، عـدد 5 ، ص 3I ـ 7I (مارس 68)

ـ ثرثرة حول مسألة تافهة ، مجلة الفكر : السنة 4I ، عـدد 9 ، ص 30 ـ 35 (جوان 68)

والمؤسسات الثقافية لكى يحس الآخرون بحاجتهم ليتقرب اليه من خلال ما يكتبون عنه .

اليوم بعد مجموعتين قصصيتين صدرتا لرضوان (4) ومع ملاحظة قلة الاحاديث الصحافية الادبية التى أجريت مع رضوان الكونى توجهت اليه بمجموعتين من الاسئلة الجادة وغير الجادة وقد رفض أن تكون اجاباته غير جادة لانه يعتبر الجدية قناعا آخر يضيفه الى نظارتيه .

1 ـ اجابات جادة عن أسئلة جادة :

1 ـ س : كيف يقدم رضوان الكونى نفسه للقراء ؟

ج : من مواليد 1945 . متزوج وأب لأربعة أطفال . أستاذ عربية ... حاليا أجرب الكتابة القصصية والمسرحية .

2 ـ س : القصة القصيرة هى السمة المميزة لانتاجك الادبى الى حد الآن (الكراسى المقلوبة : مجموعة قصصية ـ 1973 النفق : مجموعة قصصية ـ 1983) . ما هى خصائص القصة القصيرة فى مفهومك الادبى ؟ .

ج ـ حركة ، لفتة ، لحظة ألم ، احساس بالغبن ، بالضيم ، بالاجتهاد ، تفكير منغص (بصيغتى اسم الفاعل واسم المفعول) .. كل ذلك الذى اتجاوب واتفاعل معه فارتج له وافرزه قصة قصيرة ، عملا فنيا فاضحا ... القصة القصيرة تشهير وادانة واحتجاج ... القصة القصيرة تجتزىء قطعة

---

(4) الكراسى المقلوبة (مجموعة قصصية) ، الشركة التونسية للتوزيع 1973 ، تونس (112 ص)
ـ النفق (مجموعة قصصية) ، منشورات « قصص » ـ مـاى 1983 ، تونس (104 ص)

من الحياة التى نحيا وتسلط عليها الضوء وتعمد الى تضخيمها وابرازها فى جلاء ... او هى تقتنص فكرة من الافكار التى نخضع لها ونرزح تحت ثقلها القصة القصيرة رد فعل ورد اعتبار فى الآن نفسه .

3 ـ س : بالاضافة الى ضمير المخاطب ـ فى العديد من قصص الكراسى المقلوبة او النفق ـ شخصية « الراوى المتحدث » . ماذا يعنى استعمال الضمائر كتقنية بالنسبة اليك ؟.

ج : الغائب للسرد والرواية ، وهو ضمير يجعل من الراوى شخصية مستبدة ، عارفة بكل الجزئيات ، عالمة بمصير كل شخص وكل حركة ، فهو ضمير يبوىء الراوى مكانة فوق البشر وفوق الطبيعة ، وتبعا لهذا يصبح الراوى يتحدث من وجهة نظر ذاتية بحتة بعيدة كل البعد عن الموضوعية .

وأما المتكلم فهو للاعتراف أولا ثم للقصة النفسية أو السيكولوجية ثم للحوار الداخلى او حديث النفس . واما المخاطب فاول استعماله فى الحوار الثنائى .. ثم دخل صلب السرد فى الحوار الداخلى .. ومن معانيه التذكير والتقرير والاتهام والادانة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى اعتقادى ان الكاتب مطالب بأن يكون على دراية تامة بأدواته ووسائله .. ومتى كان على وعى تام بالتقنية القصصية فله المجالات متسعة للاجتهاد والتلوين والابداع ... وليست المسالة فى رأى تركيزا على ضمير دون آخر أو مصالحة بين الضمائر الثلاثة وتلفيقا يضمها فى العمل الواحد ضما يكاد يذهب بانفاسها ، وانما هى اختيار يفرضه السياق والزمن والغاية .

وللاعلام ، الذى ليس فيه ما يبعث على الغرور ، وانما اذكره فقط للحقيقة التاريخية ، ما دمنا نتحدث عن الضمائر فى اجابة عن سؤال جاد كما تفضلت بوصف اسئلتك هذه ، أقول : ان اول من استعمل ضمير المخاطب فى عمل فنى مكتوب بالعربية فى تونس هو كاتب هذه السطور ، ، فقد كتبت سنة 1967 قصة قصيرة بعنوان : « طيور دون ريش » ونشرت بمجلة الفكر سنة 68 . واستعملت ضمير المخاطب فيها من أول القصة الى

نهايتها ثم لاحظت تجاوبا لهذا العمل فـى كتابات اخـرى لكتـاب آخريـن ، ولاحظت جنوح بعضهم الى استعمال هذا الضمير ...

والحديث عن الضمائر يطول فالاولى ان نضمر بقيته ، فالاضمار مفيد كما ان ذكر كل شيء غير نافع .

4 ـ س : **الفضـاء الذى تدور فيـه احداث قصصك امـا مستمد من الريـف (ثرثـرة حـول مسالة تافهـة ، حافلة تمر ، النفق ، قذاة على عين بغلتنا ، النخلة العرجـاء والشيخ الصدىء .. لخ..) أو هو يغوص فى أعماق أحياء المدينة العتيقـة (سفينة نوح ، طيور دونريش ، الكراسى المقلوبة ، تقصيـر يوم الدجن .. الخ ..) ، هل ترى فى هذا التراوح بين الريف والمدينة ـ كمـا حدث ذلك فى حياتك ـ موقـف الشـاهد علـى البيئـة والعصـر ؟..**

ج : أنا معك على أنه موقف الشاهد من البيئة والعصر ، ولكنه شاهد ذو مواصفات خاصة ، شاهد خبيث خبثا فنيا ، شاهد يثيـر ، يعرى ، يستفـز ويستقصى .. الخبث الفنى مطلـوب وضـرورى فى العمـل الابداعى .. هذا الشاهد المطلوب فى العمل الفنى هو غير الشاهد المألوف .. نحن تواضعنـا على ان الشاهد هو الذى لا يتكلم الا اذا سئل واذا طلـب اليه الكـلام وليس مطالبا بالحديث فى أشياء لم يسأل عنهـا ... ونحن الفنا أن يكون الشاهـد انسانا طيبا ولا يقول الا الحق ، ولكنه الحق فى سؤال محدد مطروح لا غير .. اما الشاهد الذى أقصد وأعنى هو كذلك لا يقول الا الحق ، ولكنه لا ينتظـر أسئلة تحدد له مسار الاجابة ، انه هو نفسه يطرح الاسئلـة ويجيب عنهـا ويسلط الضوء ويثير الساكن ... هذا الشاهد ليس من طينة ذلك الانسـان

الطيب الذى لا يتكلم الا اذا سئل ... ان النوايا الحسنة الطيبة لم تعمد ذات جدوى فى زمن ردىء كثرت فيه الذئاب واستنسر فيه ابلغاث .

5 ـ س : تبـرز شخصية الاب فى قصصـك صارمة مسيطرة ، تضـع الحـدود وتسهر للوقوف عندها . هـل فى ذلك نافذة على طفولتك ؟.

ج : جل ما كتبت يحاول أن يبلور فكرة . ولبلورة فكرة ما أنحت أحدوثة او أركب قصـة ... وشخصية الاب التـى لاحظت أنها كانـت صارمة ترفـع الحواجز انما كان ذلك فقط لبلورة فكرة من الافكار التى اعالجهـا .

6 ـ س : سايرت مرحلة « البحث الشكلى » للاثـر الادبـى خـلال السنـوات 1968 ـ 72 على الساحة الادبيـة كيف تقيم تلك المرحلة اليوم ؟

ج : سنوات 68 ـ 72 من أثرى الفترات التى عرفتها الحياة الادبية فى تونس والغريب ان اربع سنـوات من العطاء والبحث اثمرت جيلا عظيما (مـن حيث العدد على الاقل) ... وقد ساهمت تلك السنوات الاربع فى اعطاء صورة عـن الحركة الادبية فى تونس ، بـل توصلت الـى تحديد سمات خاصـة طبعـت الانتاج الادبى فـى بلدنا شعرا وقصة ومسرحا بطابع طريف ذى خصوصيـة معينـة ان فى الشعـر (الحـر ـ فـى غيـر العمـودى والحـر ـ قصيـدة النثر) وان فى القصة (التجريبية والمخبرية والرمزية والواقعيـة الجديدة ... الـخ ...) وعلى الرغم من ان انتاج تلك الفترة كان مفهوما او غامضا مقبولا او مرفوضا ، فانه لا يمكن جحود ما افرزت تلك المدة ولا نكرانه .

ودون اعتبار كل ما قيل عن تلك الفترة تمجيدا او استنكارا فانى اعتقد ان مرحلة كمرحلة 68 ـ 72 ضرورية فى الحياة الادبية سواء بكرت هذه المرحلة أم تأخرت ، فان الانتفاضة ضرورية فهى تغربل الماضى أو تحـاول التخلص منه لتبشر بمستقبل ذى منعرج آخر قد يمتد وقد ينقطع قبـل أن يستقيـم على الطريق السوى ... ونحن الآن ـ حسـب رايـى ـ نعيش النضـج الذى بشرت به مرحلة 68 ـ 72 .

7 ـ س : النوادى الادبية ظاهرة بارزة فى خلق الحركة الادبية والثقافية خلال المرحلة المتقدمة وقد كنت من العناصر النشيطة فى العديد من تلك النوادى (ابن رشيق ، ابن خلدون ، باب العسل ، نادى القصة ...) . ماذا تركت لك تلك التجربة الثقافية ؟

ج : ما تركته تلك التجربة هو انها جعلتنى اعرف الكثيرين من الكتاب والشعراء ، وجعلتنى اعرف ـ وهو الاهم ـ بداية كل حركة ادبية واعايش بعثها ونشوءها وهذه المواكبة ساعدتنى على الالمام بالحياة الثقافية فى بلدنا وربما تفيدنى فى الكتابة عنها وانا افكر فى كتابة شىء عن الحركة الادبية فى تونس .

8 ـ س : بالاضافة الى حضورك فى المنتديات الادبية عرفت ـ أيضا ـ بمشاركتك فى « القوافل الادبية » لسنوات 1968 ـ 1971 . وقبل ذلك كانت بداية نشاطك الثقافى مع الشبيبة المدرسية . ثم ساهمت فى بعث النادى الادبى بالرقبة ـ تطاوين وسعيت الى اخراج مجلته إلى السوق . كل هذا المسار على مضمار التنشيط الثقافى كيف ترى جدواه اليوم ؟.

ج : انا لا أخفى عليك انى استفدت كثيرا من الاحتكاك بأهل الكتابة سواء فى « القوافل الادبية » او فى النوادى التى حضرت مجالسها .

9 ـ س : كان صمتك الادبى ملحوظا اثناء الفترة التى ابتعدت فيها عن

مدينة تونس لاسباب دراسية ثم مهنية . هل للتدريس والوظيفة الادارية دخل فى الحد من انتاجك الادبى ؟.

ج : شغلت مدة باشياء أخرى ابعدتنى عن تونس . وكان لهذا البعد اثره على انتاجى وبالتاكيد ان للوظيفة الادارية دخلا فى الحد من الكتابة الادبية الا اني اسعى ما استطعت الى تنظيم وقتى حتى أوفق بين العمل والكتابة .

10 : س : امتازت مرحلة الستينات وبداية السبعينات بطغيان انتاج القصة القصيرة ثم جاءت مرحلة التنظير الادبى واليوم هناك من يضع بداية الثمانيات تحت برج « الرواية » و « القصة الطويلة » وانت كيف ترى الساحة الادبية ومستقبل الانتاج الادبى فى هذا البلد ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ـ لااتفق معك كثيرا فى ما جاء فى سؤالك مع انى احترم رأيك واقدره علما بان من يحاورنى هو ممن يواكبون الحركة الادبية وعلى اطلاع كبير بتطوراتها ، الا انى اختلف معك فيما جاء بالسؤال المطروح ، ذلك انى لم اعرف المرحلة التى اسميتها « مرحلة التنظير الادبى فى تونس » ... هناك مقالات جادة وعلمية تناولت بالنقد والدرس بعض الاعمال القصصية وحاولت رصد بعض الظواهر الشكلية التى ظهرت بالقصة فى تونس ، اما ان يكون هناك تخطيط منهجى وطرح نظرية او مناقشتها فانى لم الحظ هذا ببلدنا ، وحتى كتاب المدنى « الادب التجريبى » لم يكن الا خلاصة الاراء التى قيلت فى سنوات 70 ـ 71 أكاد أجزم انها جميعا كتبت فى السبعينات ان لم يكن قبل ذلك . وانا اعرف ان جل الكتاب الذين عرفوا من خلال القصة القصيرة قد كتبوا الرواية او القصة الطويلة منذ الستينات وعلى سبيل المثال اذكر : محمد الهادى بن صالح ، عز الدين المدنى ، احمد ممو ، سمير العيادى ، عبد القادر بلحاج نصر ، محمد المختار جنات ، حسن نصر ، وعمر بن سالم ..

وقد توصل بعضهم الى نشر رواياته وبعضهم لم ينشر الا فصلا او فصلين وبعضهم ينتظر الفرصة المناسبة حتى ينشر ما لديه . هذا دون الحديث عن الجيل السابق من الكتاب الذين مارسوا كتابة الرواية منذ زمن ابعد مثل : العروسي المطوى والبشير الخريف ...

اعتقد ان المسألة تنحصر فى صعوبة النشر لذلك كان نشر الاقصوصة ايسر باعتبارها تظهر على صفحات الجرائد والمجلات ، وفى نشر الاقاصيص اولا كسب آخر بالنسبة الى الكاتب اذ عن طريقها يستطيع أن يعرف بنفسه ككاتب وعندها ربما يحظى بمن يهتم بانتاجه فيقع له باب نشر روايته ، وهذا الراى يؤيده ظهور روايات كتبت منذ مدة لكتاب لم نقرأ لهم الا القصة القصيرة .

2 ـ اجابات جادة عن اسئلة غير جادة :

1 ـ س : هناك من يرى ان الاسرة والشغل تعلة لتبرير الكسل الذهنى للاديب وانت قد عرفت بالاقلال الادبى كما انك قد عرفت متاعب الاسرة وكذلك متاعب الشغل فهل تبرر موقفك بنفس التعلة أم عندك تبريرات أخرى ؟.

ج : الدخول فى أى وضع حياتى جديد يتطلب من الكاتب وقتا حتى يتأقلم مع هذا الوضع ويوائم بينه وممارسة الكتابة .. وتكوين الاسرة والبحث عن الاستقرار فى شغل ما يتطلبان من الكاتب مهلة طويلة ، بل وقتا قد يطول اكثر من اللزوم حتى يخلق عادة جديدة فى وقت جديد يصلح للكتابة .... كانت اوقات الفراغ فى السابق كثيرة وكنت استطيع الكتابة فى اجزاء كثيرة من النهار ... اما الآن فانه لا يتيسر لى ذلك الا فى الليل بعد ان يخلد كل من فى بيتى الى النوم ... لاحظ اننى طفت كثيرا لأصل الى نفس التبرير الذى ذكرته فى سؤالك .

2 ـ س : التسكعات الليلية فى شوارع المدينة من هواجس بداية السبعينات التى طبعت تصرفاتك ومجموعة اخرى من الادباء فى تلك المرحلة . الا تحس اليوم انك اكثر رصانة مما يجب ؟ ام هو تأثير الوظيفة الادارية التى تتطلب منك مظهرا يوميا جديا ؟

ج : قد يتبادر الى ذهن القارىء بعد قراءة سؤالك هذا اننى كنت اقضى كامل الليل اجوب الشوارع . الواقع عكس ذلك ، والصواب اننى كنت كثير الظهور فى المقاهى والمنتديات ، وكانت الاحاديث الثقافية تأخذ كل وقتى حتى ان الليل مهما انقرض لم يكن ليجبرنى على العودة الى المنزل ما لم تنته الجلسة .. اما الآن فلم يعد بالامكان تقضية اوقات طويلة فى النوادى والمقاهى بل لم اعد اجد الوقت للجلوس فى مقهى الا صباح الاحد واحيانا عشية السبت

3 ـ س : الترحال الذى قادك من تونس الى جندوبة ، الى بوسالم ، الى تطاوين ثم فى النهاية الى تونس الا ترى فيه جذورا وراثية للبداوة التى طبعت قبائل الجنوب التى منها ننحدر جميعا ؟

ج : قد يكون ذلك الا ان ترحالنا نحن الآن لم يكن بمشيئتنا وانما كان مقررا لنا القيام بـــه .

4 ـ س : يلاحظ تقززك الواضح من وجود الطفيليات الادبية على الساحة خاصة

فى فترات الضحالـة التـى تطغـى فيها . الا تراها ضرورية لتاكيـد تميز غيرها ؟.

ج : الحوض الذى تطفو على صفحة مائه الطحالب وتعلق بجنباته لا يكون صالحا الشراب منه ... الحميـر فقط تكرع منه وتقبل عليـه ، ومـن يـدرى قد تستعذب ماءه .. وليكون الماء صالحا للشراب فـلا بد من تنقيتـه وازالـة الطحالب والاوساخ التـى تعكر صفوه وتكدره ، بل يستحسـن تعقيمـه بعـد تنظيفه حتى يطهر ويسيل الماء فيه عذبا رقراقا نقيا .. تأكيد التميز فى نظرى لا يتم الا بين نماذج نقية ، بين اعمال جادة تتفاوت فى القيمة ، فـى مستوى النضج ، فى مستوى العرض والتناول الا انها كلها جادة وصـادرة عن صـدق ومعاناة .

5 ـ س : قيـل عـن اعضـاء نادى القصـة « انهـم يدخنون طوال الحصـة » (وقد كنت أنت من جملة المدخنين) وقيل عنهم ايضا : انهـم يهـزون رؤوسهم تظاهرا بالفهم (والمقصود بذلك على وجه الخصـوص رئيس النادى) وقيل : إنهم فى نقـدهم كالقطيع يتبع التيس (ويحدث أن تبدأ أنت الكلام عندما تتجه نيـة رئيس النادى الى تحليل القصة). وانت ماذا يمكنـك ان تضيف عـن اعضاء هذا النادى خاصة انك تعد عنهم دراسة ؟.

ج : أقول انهم جماعة تدربوا على نقد القصص التى تقرأ عليهم ، ينقدونها من سماع واحد . وهذه خاصية لا يمكن ان تتوفر لكل الناس ، الى درجـة ان بعضهم باستطاعته نقد أية قصة تقرأ فى النادى وهو منشغل عنها بالحديث الى من يجلس بجانبه أو وهـو يتصفح مجلة او كتابا وهذه قدرة قـل ان توهـب لكـل النـاس .

محمد الهـادى بن صالـح :

قصـة : لداريل ڤراى

تعريـب : محمد الهادى بن صالح

الادراك (1)

فى الزمن الذى كنت فيه أمتص قطع السكر وأخوض أوحال البرك ، جـد حادث فى حياتى لن أنساه أبدا ، كنت أحلم . مثل كل الأطفال الذين بلغوا ست سنوات وكانت رؤيتى للعالم الخارجى عجيبة وبسيطة . فالخير ينتصر عـلى الشر والبطل على الصعلوك ، والصواب على الخطأ ، والمحبة على الكراهية . حتى يكون يوم سبت خريفى طرى الهواء منعشه فينقلب كل هـذا وتنفلق فقاقيـع صابون خيـالى .

بما أن والدى يشتغلان فقد كنا نتسوق كل يوم سبت وكان ذلـك السبت لا يختلف عن غيره فى شىء لما تساءلت أمى :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(1) فى هذه القصة تكامل بين الموضوع والشكل رغم البساطة السائدة . لهذا كانت قصة ناجحة . اضافة الى التزامها والقضية المستمدة مـن واقع الانسان مهما اختلف فى الزمان والمكان فهى تضم وحدات فنية دقيقة فى تكوينها .

نشرت هذه القصة سنة 1970 بـ :

تحت عنـوان :

ترجمت الى الفرنسية تحت عنوان :

ونشرت ضمن مجموعة قصصية ضمت ست عشر قصة لستة عشر كاتبا زنجيا أمريكيا تحت عنوان بسلسلة

وقع تعريبها عن الفرنسيـة .

كاتبها داريل ڤراى من مواليد بلتيمور بولاية ماريلند . كتب هـذه القصة وهو طالب فى الطبّ بجامعة جون هوكينس .

ـ ما قولك لو خرجنا هذا اليوم فنشترى لك حذاءا ؟

انتفضت طربـا :

ـ مرحى يا أماه . هل يمكن أن أشتريه من نـوع رنجيرس هـذه المـرة ؟
أجابت مكسورة :

ـ فكرت فى حذاء قديم .. لكن سنرى .

فى ذلك الوقت لم يكن عندنا الا سيارة واحدة . وبما أن أبى كـان مضطرا لعمل ساعات اضافية ذلك اليوم والاتصال بالضمان الاجتماعى فقد أخذها معه فلم يعد قدامنا الا أن نركب الاوتوبيس أو التكسى . واستقر أمرنا على الانتظار فى محطة الاوتوبيس وركوب ما يقدم أولا من هاتين الوسيلتين . لم تمض لحظة حتى كانت حافلتنا تندفع نحو الجنوب كأنها تحاول أن تسبق الريـح وتكـاد تنقلب فى كل منعطف .

فى ذلك الوقت ، كانت لعبتى المفضلة داخل الحافـلات ملاحظـة الحركـة السائدة فيها . بعض الامهات يزجرن أطفالهن ، بعض الشيوخ فى حوار منفرد والسواق يرددون لحنا بصفيرهم يذكرهم بالأيام السعيدة .

لما وصلنا نهاية مطافنا ، انزلقت قدام أمى حتى بلغنا الدكان فسبحت متأملا كل الاحذية ذات الطرز والالوان المختلفة .

« ما أروع هذا الحذاء يا أماه . أريد هذا أيضا ! » . كنت أهذر ملحاحا . ودون أن تعير أمى اهتماما لثرثرتى الطفولية دفعتنى الى الداخـل فانتصبنا وسـط المغـازة .

جلسنا فى انتظار دورنا.مر زمن طويل على وجودنا داخل المحل.ولما تفطنت الى أن العمال قد لبوا رغبات من قدم بعدنا بينما نحن ننتظر فى صمت ولا نحاول إشعارهم بضرورة الاهتمام بنا ء تساءلت متضايقا :

« أماه ، لماذا تقضى حاجة هؤلاء قبلنا ؟ » ابتسمت الى بوجه مضنى وأجابتنى بأنها ستشرح لى هذا فيما بعد . انكمشت ساكنا ولكن تفكيرى قد ارتج . تبادر الى ذهنى أنها لم تكن المرة الاولى التى كنا فيها مجبرين على الانتظار طويلا دون موجب. حدث مثل هذا سلفا ولكنى كنت صغيرا جدا أعجز عن ادراك الأسباب. لم تعد أمى بحاجة الى أن تشرح لى بعد ذلك فالحالة تنطق وحدها صارخة . كان يمكن أن ننتظر كامل اليوم فى هذه المغازة دون أن يهتم بنا العمال ودون أن تقضى حاجتنا . فهم بيض ونحن سود . هذا سبب كافى . هناك فرق كبير بين انسان تستوجب خدمته وبين انسان لا يمكن أن تقدم له خدمة .

حينئذ بدأت نظرية فظيعة تطرق كيانى بعنف كنت سمعتها فى ساحة ملعب

« اذا كنت أبيض كنت الأمل ، وان كنت أسود كنت بلا أمل » .

وبعد انتظار مرير ، قدم نحونا البائع فاخترنا زوجين من الاحذية وخرجنا فى عجل لقضاء بقية حاجاتنا . هذا اليوم رشم نهاية أحلامى اللذيذة واقتحام الحقيقة لحياتى .

فى المساء ، وعلى منضدة الاكل ، بينما كنت لوك لقمة وأنا شارد الذهن ، التفت الى أمى قائلة : « أيها الفتى ، مرحبا بك فى هذا العالم » .

« داريل فراى »

تعريب

محمد الهادى بن صالح

أعده : محمد الخوسى الحناشى

حوار بين أحضان الشمس مع أحمد ممو

أمد ممو قاص وناقد وباحث معروف ، دأب علـى ممارسة الكتابـة منذ أن كان تلميذا بالمرحلة الثانوية . قرأ له الناس بالعديد من الصحف والمجلات الوطنية وبمجلة « الاقلام » العراقية . له مجموعة من التآليف المنشورة والتى تنتظر النشر رغم أن وقته لا يكاد يتسع للكتابة نظرا لما تفرضه عليه مهنتـه كمهندس مختص فى علوم المياه والتربة ـ رئيس دائرة ـ من تبعات وأعباء . فهو يعمل كامل الوقت تقريبا يعد الدراسات والبحوث ويساهم فى جلسـات العمل التى تعقد بين الحين والحين بهذا المكان أو ذاك . دائم التردد علـى الريف والبادية فى عمل ميدانى لا يتوقف ، والتنقل بين مركز عمله والعاصمة حيث الادارة المركزية الراجع اليها بالنظر . الى جانب مسؤولياته فى تسيير شؤون الدائرة الموكول اليه أمر الاشراف عليها . همـه الوحيد البحـث عن مصـدر الحياة فى باطن الارض والعمل على استخلاصه فى أعماقهـا ليتفجـر عيونـا وينابيع تنشر الحياة والخصب فى الارض المـوات ، وتزرع بسمـة الامل والرضا على شفاه آلاف القراء والكادحين .

وأحمد ممو انسان هادىء الطبع ، جم التواضع ، قليل الكلام دائم التفاؤل لا تستهويه الشهرة ولا تبهره الاضواء . قليل الاحتفال بالظهور فى الصفوف الأمامية . وهب كل وقته وجهده لعمله ولممارسة « عناء » الكتابـــة .

تعود العمل فى صمت ودون جلبة . قهـر البيروقراطية ولم تقهـره رغـم معاناته اليومية . عـرف أهمية عنصر الزمن فى حياة الانسان فحرص علـى الاستفادة من كل دقيقة من وقته فى بناء حياته وحياة مجتمعه . يطغى علـى جل اقاصيصه طابع الرمزية والغموض . أسلوبه قوى متماسك ، لغته فيهـا جزالة ومتانة وعفويـة . أما دراساته فتمتاز بالنظـرة العلميـة الموضوعيـة وبعمق التحليل ودقة الملاحظـــة .

وكان لنا لقاء بين أحضان الشمس .

س 1 ـ في البداية أرجو أيها الصديق أحمد أن تعرف قراء مجلة « قصص » بأحمد ممو القصاص ، الناقد ، الباحث والانسان .

ج : قد أكون آخر من يؤهل للاجابة عن هذا السؤال لانى لم أحاول فى يوم ما أن أنظر الى نفسى كيف يمكن أن أكون بل وجدت من الانسب ومن الاجدى أن أرى كيف يواجهنى الآخرون . ولكن اذا كان من الضرورى أن أعرف بنفسى كما تبينه بطاقة تعريفى القومية فانا قد ولدت يوم 26 ديسمبر 1949 بتمزرت من ولاية قابس . وبها قطعت مرحلة من طفولتى ومن تعليمى الابتدائى . ثم انتقلت الى تونس لان الهجرة قديمة فى الوسط الذى أنتمى اليه وبمدرسة نهج سيدى على عزوز أتممت دراستى الابتدائية . ثم انتقلت الى المرحلة الثانوية وكانت فى بدايتها بابن رشد لمجرد أن الاعداد التى تحصلت عليها فى امتحان مناظرة الدخول الى التعليم الثانوى رشحتنى لأكون من جملة التجارب الذين صنفوا فى شعبة « أ » وبعدها انتقلت الى المعهد الصادقى لأنى اخترت شعبة العلوم ولكن شعبة العلوم بهذا المعهد لم تثبت طويلا اذ حولت الى معهد ابن شرف حيث أتممت السنة النهائية للمرحلة الثانوية سنة 1968 . ومنها دخلت كلية العلوم حيث تحصلت على الاستاذية فى الجيولوجيا تحولت بعدها الى فرنسا لكى أواصل دراستى العالية بجامعة باريس ومنها تحصلت على دكتوراه المرحلة الثالثة فى الجيولوجيا اختصاص « مياه جوفية » سنة 1976 واثرها التحقت بالادارة التونسية لاعمل مهندسا فى اختصاصى بالجنوب التونسى .. قد يكون فى هذا المسار بعض الملامح عن الانسان الذى كنته الى حد سنتى هذه .

اما جانب القصة فى شخصى فقد يكون ابتدأ منذ كنت أبحث عن طريقى وراء الاحرف التى كنت التهمها من الكتب والمجلات وفى تلك المرحلة الاولى من حياتى كانت شراهتى كبيرة للمطالعة ولكى لا أتحول الى مجرد كائن مجتر للاحرف أدركت فى يوم ما حاجتى الى الكتابة وكانت البداية مع القصة القصيرة . ولعل أول ما نشر لى أقصوصة صغيرة فى مجلة مدرسية سنة 1964 بالمعهد الصادقى .

أما جانب النقد فى شخصى فقد جاء نتيجة الاحتكاك بكل من ينتج الكلمات ويمضغ منها الكثير لان فى حياته من الطمأنينة ما يسمح له بذلك ولان المبدأ القائم فى هذا المجال هو : ان من نخل الناس غربلوه « وعندما تكون فى جمجمة أحدهم بعض الافكار التى تبحث لها عن منفذ الى حياة الآخرين فقد ينطق بها فى يوم ما اذا وجد فى نفسه من الشجاعة ما يساعده على ذلك ولانى كنت مقتنعا بان « الاضافة يأتى بها اقتناع جماعى بان الحياة الفكرية لا يمكن أن تكسب تقاليدها فى رقعة ثقافية ما الا عن طريق المبادرات الفردية التى تجد فى الهياكل الثقافية سندا لها » وذات يوم عندما واجهت أفكارى أدركت ان صوت الانسان الابقى هو الذى يوظفه لخدمة الفكر .

اما صفة الباحث وهى الجانب الالصق بعملى فقد جاءت منذ اليوم الذى أدركت فيه ان التعليم لن يكون الوظيفة الانسب لشخصى لكى اضمن لنفسى التجدد لذلك اخترت ان أعمق دراستى ثم اكتشفت بعد ذلك ان مجهودى بكل ما يكتسبه من فردية وتواضع يمكن ان يكتسى أهمية ما عندما أضعه فى خدمة أولئك الافراد الذين انتمى اليهم ولعل ذلك الاختيار قد جاء نتيجة كابوس العطش الذى عرفت قريتى تعيشه اثناء طفولتى لذلك سعيت أن يكون الوقت الذى استهلكه من حياتى يتجاوز فى جانب منه شخصى الى من هم حولى . وكانت هذه العشرية الاخيرة من حياتى مخصصة لتقييم واكتشاف ومتابعة الموارد المائية الجوفية بالجنوب التونسى

س 2 ـ يقال ان الادب معاناة فما هو مبلغ الصدق فى هذا القول ...؟

ج : يمكن ان يؤكد الانسان ان المعاناة لا تتركز فى الادب فقط اذ فى الحياة نواح أخرى عديدة تستوجب المعاناة ولكن قد يكون من الاسلم أن نقول فى خصوص الادب كما قال المسعدى ذلك : «الادب معاناة أو لا يكون» وفى هذا القول الكثير من العزاء الذى يبحث عنه الاديب لانه يحس بهامشية انتاجه وهو ما يتجاوز شخصه ويكتسب أهمية فى حياة الآخرين .

من هذا المنطلق تنعكس المعاناة فى انتاج الاديب عمقا فى التحليل وصدقا فى التعبير بالاضافة الى ما يجب أن يتوفر فيه من قدرة على التعبير

وذلك ما يسمح للبعض ممن ينسبون أنفسهم الـى الادب من جعـل الاخرين يقفون عند انتاجهم باعتباره تجاوزا للذات واسهاما فى بحث وضع الانسـان ومشكل وجوده، وهذا ما يجعل المعاناة ما يفهمه الآخرون من انتاجنا الفكرى لا مجرد ما مررنا به من تجربة فنية أثناء مراحل الخلق الادبـــى .

لعله يكون أكثر واقعية أن يقنع الاديب نفسه أن معاناته الفنية هى ككـل عمليات الانتاج وظيفة اجتماعية توفرت لها فى شخصه المعطيات الضرورية وبذلك لا يكـون الاديب فى حاجة الـى تحويل مواقفه الابداعية الـى ملاحم ينحنى عليها بالكثير من التضخيم والمبالغة لايهام الأخرين بصعوبتها .

س 3 ـ متـى بدأت رحلتـك مع الحـرف ، وكيف كان ذلك وتحت أية مؤتمرات تمت عملية الولادة الاولى ؟

ج : أن يسعى الانسان الى الغوص فى ماضى حياته لتصور جانب ما من شخصيته فذلك ما يبدو لى مجـرد تخيـل انطلاقا من بعض العلامـات التـى وعتها الذاكرة اذ أن عملية الاستبطان هذه لا يمكن أن تكـون الا منحـازة اذ الشخص فيها هو الخصم والحكم . وان يكون ـ زيادة علـى ذلك ـ موقـف الاستبطان هذا بتخيل تراجعى فذلك ما يجعل كل ما يمكـن أن يفضى بـه الانسان عن بداياته ابداعية ـ أدبيـة كانت أو ثقافية أخرى ـ مجرد عمليـة تخيل يرى فيهـا ذلك الانسان الصورة الانسب من غيرهـا لتفسيـر واقعه الراهن . لذلك يمكن دائما ان ادعى ان رحلتى مع الحرف كانت طويلة وشاقة واستغرقت السنوات من حياتى لأبرر بذلك الشيبات التى بدأت تغزو شعرى وفى ذلك بطـولة أدبيـة تـرضى غـرورى كأديب وتؤكد معنى « المعـانـاة » الذى كنا نتحدث عنـه . كما يمكن أن أسهـب فـى سـرد الاسماء العديـدة والعناوين المتتالية التى عكفت على مطالعتها الى ساعات متأخرة من الليـل لكـى أبرر حاجتـى الآن الى استعمال نظارتين .. وككل أديب يقنع نفسـه بأهميتـه وبضرورة توفر المواقف الحاسمة فى حياته أستطيـع أن أسهـب فى تفسيـر الدوافع الذاتية والثقافية التى جسمت العزم فى تفكيرى لكـى أمسـك القلـم فى يوم ما وأخط به الاحرف الاولـى ثم اكتشـف بعـد ذلك ـ بكثير من الدهشة ـ انى قد ولدت كاتبا ولست فى حاجة الا الى القليل من

الغرور ثم النرجسيـة بعد ذلك لكى اعتقد انى « أعظم من سعت بـه قدم فى دنيا الادب » ..

ولكن كل هذه المواقف الدونكيشوتية تبقى مجرد تهميش لان ما قدمتـه الى القارىء الى حد الآن ليس الا قليـلا قد لا يـراه الآخرون اضافة لـذلك لا أظن انه بالاهمية مـن وجودى بمكان ان أبرز عملية « الولادة الاولى » كأى « معاناة » اذا كنت اليوم لا استطيع أن أضمن حضورى الادبى على الساحـة واذا كنت لا أستطيع أن أقنع نفسى ان فى انتاجى تجاوز لما سبقه .

س 4 ـ هـل هناك عوامـل أو شخصيـات معينة اسهمت فى تكوين شخصيتك الادبية ، وفى تحديد معالم الطريـق الذى رسمتـه لنفسـك فـى دنيـا الادب ...؟

ج : طبعـا هنـاك العديـد من العوامل ومن الشخصيات التى قد تكـون اسهمت من خلال مـواقف معينة من حياتى فى توجيهى الوجهة الادبية التـى اريدها اليوم لنفسى اذ ان الانسان لا يولد أديبا بالوراثة ولكن يصبح أديبـا بالاكتساب انطلاقا من مؤهلات فكرية ونفسية مواتيـة ولا أتصور انـه فـى امكانى أن أؤكد تحديدا بعينه باعتباره العامل الذى خلق المنعرج فى وجهتى الادبية وكل ما أستطيع أن أؤكده هو ان للهياكل الثقافية منمكتبات للمطالعة ودوريـات ثقافيـة ونواد مختصة وحصص اذاعية وتلفزية وجوائز مدرسية وتشجيعية دورا أساسيا فى تنمية شخصيـة أديب الغـد لان ذلك ما تبينته من خلال تجربتى الشخصية .

س 5 ـ مـا هـى مـؤلفـاتك المنشـور منهـا والمخطـوط ؟.

ج : نشرت لى مجموعتـان قصصيتان هما : « لعبـة مكعبات الزجـاج » (الشركة التونسية للتوزيـع 1974) و « زمن القران الميكانيكيـة » (شركـة صفاء للنشر والتوزيع والصحافة ، 1981) .. هذا بالاضافة الـى عدة قصص قصيرة ودراسات حول القصة التونسية والقصة الشعبية نشرت متفرقة فى

الدوريات الادبية . فى انتظار النشر منذ سنة 1977 كتاب لدى الدار العربية للكتاب بعنوان «دراسات هيكلية فى قصة الصراع» (*) اما المخطوطات فأشياء أخرى فى القصة والرواية .

س 6 ـ القصة القصيرة مدارس متعددة فالى أى مدرسة من هذه المدارس تنتمى وما هو سر اختيارك لها دون غيرها ؟.

ج : لا أعتقد انه بامكانى القول انى انتمى الى مدرسة أدبية معينة خاصة ونحن نعيش زمن اختفاء الحواجز بين الانواع الادبية فى حد ذاتها فما بالك عندما يسعى الانسان الى ايجاد تقسيمات فى ذات النوع . وحتى فى صورة ما اذا ادعيت انتمائى الى مدرسة ما فذلك لا يعنى بالضرورة ان ذلك الاطار يمكن أن يضم كل الانتاج الادبى الذى عرف لى . هذا مع الملاحظة أن المدارس الادبية نتاج غربى مرتبط بالوسط الثقافى الذى نشأت فيه هذه المدارس ويبدو أن استيراد الاشكال الادبية لا يكون بنفس البساطة التى يتم بها استيراد الموضة او التكنولوجيا . ولكى أسمح لكم بتصنيفى فى اطار ما أقول ان فى تراثنا الثقافى العربى الاسلامى ما يمكن أن نجد فيه جوانب من شخصيتنا اذا عرفنا كيف ننفض عنها الغبار ونتناولها بالتمحيص والفحص .

س 7 ـ هل بامكانك أن تقيم لنا تجربتك القصصية ..؟

ج : تجربة متواضعة لا تعنى الكثير على خريطة الادب التونسى الحديث وبالتالى فهى أقل أهمية على خريطة الادب العربى ولكنها على مستوى اهتماماتى الشخصية جانب يعكس منحى تفكيرى ونظرتى للاشياء .

س 8 ـ ما هو رأيك فى الالتزام ..؟ وهل تعد نفسك أديبا ملتزما ؟

ج : الالتزام فى معناه المجرد لا يعنى شيئا ولكن الالتزام الذى يعنيه الكثيرون عندما يعرفونه بالالف واللام اى ذلك الذى يتجه لخدمة فكرة

(*) صدر عن الدر العربية للكتاب فى بداية 1984 .

سياسية معينة ويلتقى مع « النضال » من أجل مبادىء معينة تؤطر فـى نطاق انتماء عقائدى فهو بالنسبة لـى موقف يلصقه بنفسه من كان فى حاجة الـى أن يقنع غيره بوجهة نظر معينـة . ولعل ما يبدو مضحكا فـى بعض مواقـف الالتزام أن يكون كتلك العلامة التى توضـع على بعض أنـواع الثيـاب التى تخرج من تحت أصابع خياط مشهور والتى يسعـى صاحبها لابرازها فى كل المواقف لكى يتفطن الآخرون الى انه يحمل تلك الثياب الغالية .. والالتزام فى معناه الاشمل موقف اولى يأتى ضمنيا فى حياة الكاتب عندما يحمل قلمه لكـى يكتب ولعل أفضل مـا يلتزم به الانسان عندمـا يريد لنفسه الكتابـة وسيلة للتعبير خطـة تفكيـر يتسم بالتواصل بين فتـرة وأخرى من حيـاة الانسان وصدق بين الانسان ونفسه عند تبليغ أفكاره ... ومن هذا المنطلق فقد أكون ملتزما بشكل من الاشكال .

س 9 ـ هناك مـن يصف أدبـك بالغمـوض وأنا أحدهم ، فما هو ردك على هذا القـــول ؟

ج : قبـل الحديث عن كتاباتى أرجو أن أوضـح مجموعـة مـن الافكـار اكتسبتها خلال فترة نهاية الستينات وبداية السبعينات عندما كانت علـى السـاحـة الادبيـة مجموعـة من الادبـاء يعرفـون بـالاسمـاء التاليـة : « الادباء الشبـان » .. « شعراء فى غيـر العمودى والحـر » .. « الطليعـة الادبيـة » .. « ادباء التجاوز » .. « جماعة الادب التجريبـى » والاسمـاء متعددة .. الخ .. والهدف متقارب وهـو وضع مفاهيم جديدة لكتابـة القصة والشعر والمسرحية وارسـاء قواعد للنقـد الادبى تتجـاوز الارتسامية الى مقاييس تعتمد من داخل الاثر الادبى .. بعض افكارى عن تلـك المرحلة هـى التاليـة :

I ـ يكتب الكاتب انطلاقا من دوافع شخصية منها ما هو ذاتى بحت ومنها ما هو انعكاس فكرى او ثقافى لما حوله وفـى النهاية نراه يقدم انتاجا أدبيـا تحت عنوان نوع من الانواع الادبية المتعارفة . وما ان يمر ذلك الاثر الادبى من كاتبه الى قارئه حتى يصبح « سلعة أدبية » تخضع لمعطيات عديدة اهمها المناخ الادبـى ومدى استجابة ذلك الاثر مع ما يطلبه القارىء ، وعلـى وجه الخصوص قارىء المرحلة التى تعايش الاثر الادبى .

عند اجيال قد تتعددد حسب قدرة ذلك الاثر الادبى على الامتداد فى الزمن لذلك كثيرا ما وقعت الاشارة اثناء المناقشات حول انتاج الادباء الذين كانوا شبانا فى بدابة السبعينت الى ما يلـــى :

ان الغموض سمة ألصقت بالمجموعة كلها نتيجة مواقف البعض ولكنهـا انسحبت على الكل . وكانت تلك المواقف نابعة فى أغلبها من مواقف شخصية من نوع النجومية الادبية وخالف تعرف .. الخ وجاء الحكم عليها كرد فعل أكثر مما هو نقد وتمحيص للانتاج الادبى الصادر عن اصحابها .

ـ ان الاثر الادبى لا يفرض على قارئه بل يقترح عليه باعتباره متجهـا الى أكثر من نمط من القراء لذلـك قد يجد فيه البعض مآخذ كالغموض كمـا قد يجد فيه البعض الآخر كل الوضوح الفكرى والمتعة الادبية اللذين ينشدهما لذلك يبقى الحكم الغموض على اثـر أدبى مـا نسبيـا حسب نـوع القـارىء ومرتبطا بالظرف الزمنى الذى صدر فيه ذلك الحكم .

ـ عادة ما يراد بالغموض عدم لاستجابة لمقاييس مسبقة يحملها القارىء فى تفكيره عند تقبل اثر ادبـى ما ينتمى الى أحد الانواع المتعارف عليهـا .

وما كان يندد به الادباء الشبان انطلاقا من موقف ان التجديد فى الادب موقف تفرضه المعاصرة والتجاوز ان يتم تقبل الاثر الادبى باعتبـاره تكرارا لما جاء قبلـه وان القارىء مطالب بوضع السؤال حـول ما يطالعه وكذلـك « اعادة الكتابة » من خلال تعدد قراءاته للاثر الادبى .

2 ـ بقدر ما فى كلمة « غموض » من غموض يلاحظ انسحابها علـى كل ما هو غير خاضع لمقاييس متعارف عليهـا . اذ ان استعمـال الكلمـة كثيـرا ما اقترن بقصور عن التحليل المنهجـى للاثار الادبية حسب منهجيـة نقديـة تتجاوز المواقف الارتسامية وهذا ما جعل كل تلك الضجة التى قامـت حول التجديد والتجاوز تبقى فى حدود الهامشيات لان النقاش كان يدور غالبا فى عموميات حول النص الادبى او صاحبه دون ان يتجاوز ذلك الى اعماق النص بحسب تحليل واضح مما جعل اغلب ما كتب عن انتاج تلك المرحلة لا يأتـى بالاضافة ويحذف تحت تأثير الزمن .

3 ـ ذلك الجيل الذى كان يثيـر النقاش على الساحة الادبية فـى بداية السبعينـات لان ما ينتجه لا يستجيب تمامـا لما ينتظره منـه نموذج ما من القراء هو اليوم حلقة لايمكن تجاهلها فى واقع الادب التونسى المعاصر نظرا لما كان لانتاج افراده مـن ارساء دعائم الحداثة فى مجالى القصـة والمسرح على الاقل وما على المستطلـع الا ان ينظر الىما ينشر مـن الكتـب الادبية فى هذه المرحلة لكى يتأكد من ان اسماء تلك المرحلة هى التى ما زالت تملا الساحة وقد يحدث ان يلاحظ بعضهم أحيانا ان ما تحتاجه الساحة الادبية فى هذه المرحلة هى مجموعة من الاسماء لها مثل ذلك النفس الادبـى الذى حرك الادب التونسى فى نهاية الستينات .. وطبعا فى كل المراحل الادبية يحدث ان يختلط ما فيه نفع للناس ومـا لا ينفع الا نفسه ولكن هنـاك دائما عامـل الزمن الذى لا يضمن البقاء الا للاصلح واذا كانت بعض الاسماء من مجموعـة « الغموض » قد ضمنت لنفسهـا التواصل الى اليوم فعلها فى بعض انتاجهـا انتقدم ما يصلح للناس .

هذه الملاحظات الاولية حول ظاهرة الغموض لا تنفى انه كان فى يـوم ما من يجـد فى الغموض زاوية مـريحة لكل من يسعى الى فرض اسمـه عـلى الساحة ولكنها أيضا وفى نفس الوقـت زاوية مريحـة لكل مـن لا يريـد أن يوضح منهجيته النقدية ..

واذا كان فى كتاباتى ما يمكن أن يحمل هذه الصفة فان هذا الحكم يبقـى محدودا فى منطلقاته وفى الجزء الذى يتناوله من انتاجى اذ لا يمكن للكاتـب أن يكون مجيدا فى كل ما ينتجه ولا أظنى فى حاجة الى ابداء رد فعل دفاعى اباتهام القارىء بعـدم الفهم وبالكسـل الذهنـى كما يحـدث عندمـا تتحرك حساسية البعض ويضعون كامل مسؤولية الفهم واللافهم على القارىء .

س 10 ـ فى اعتقادى ان الكاتب ـ صاحـب رسالة ـ لا يكتب لنفسه وانما هو يكتب لجمهور عريض مـن النـاس ومن حـق هؤلاء النـاس عليـه ان يخاطبهم بلغـة لا يشكـل عليهـم فهمها . واذا هم لم يفهموا عنه ـ لا

لقصور فيهم ـ فانه يكون فقد أهم مرتكـز يستند اليه فـــى علاقتـه بأولئك القراء وبالحرف ، السـت معى فى ذلك ...؟

ج : لعــل مشكل التبليغ لا يمكن فى نوعية اللغة الادبية التــى يختارها الكاتب بقدر ما ينحصر فى الذهنية الادبية التــى يرتئيها الكاتب لتعبيــره . وهذه الذهنية الادبية لا تأتى صدفة بل هى نتاج تضامن العديد من العوامــل الذاتية والاجتماعية الثقافيــة لذلك قــد يشترك كتاب العربية فــى استعمال المفردات ولكن التمايز بينهم يأتى من التركيبية الفكرية التى تكون لكل منهم ولعل تدخل النقد فى هذه المرحلة يصبح ضروريا لايضاح مدى ما فى هــذه الآثار الادبية التى تفرزها ذهنيات مركبــة من ملامح تجديد أو جــودة لكــن منها الغث وما يمكن أن ينفع الناس .

س 11 ـ ألا يعد التزام الغموض فى الكتابة القصصية عملية هروب من الكاتــب لجبن فطرى فيه ـ أو نتيجــة لضغوط قاهرة خارجــة عنــه تحد من حريتــه وتكبل ارادتــه وتقــف حائــلا بينــه وبين ما يريد التعبير عنه من تصوير للواقــع الــذى يحيط بــه وكشــف لتناقضــاته وسلبياته تفــرض عليــه فــى النهايــة التعبير عن ذلك الواقع بشكــل ضبابــى معقد ...؟ أم تــرى ان الامر يعود الى قصور فــى قــدرة الكاتب ذاته لا يساعــده علــى تبليغ مــا يريــد تبليغه الــى القــارىء دون مشقة وعناء وباسلوب واضح لا لبس فيــه ..؟ أم ان فى التــزام الكاتــب الغموض فى مــا يكتبــه يرجع الــى سجية فيه او لرغبة فى حب الظهــور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمظهـر العبقرى ـ المعجزة ـ الذى يعسر فهمه الا على النخبة الموهوبـة مثله ..؟ أم ان الغمـوض فى القصـة لون مـن التجريد فـى الادب يرتبط بفلسفة معينـــة ..؟

ج : طبعا التزام الغموض فـى الكتابة الادبية قد يكون عند البعض موقفـا أوليا وراءه مـن الدوافع ما قد يرتبط بموقف الكاتب الاجتماعى ومنها مـا ينبع من صميم التركيبية الذهنية للاثر الادبى نفسه وكل ذلك يكسب الحياة الادبية فى فترة ما مظهرا عاما يبقى امام المحلل النفسى والمحلل الاجتماعى مسؤوليـة تبيان الدوافع الشخصية والاجتماعية وما يمكن أن يستنتج من نفسية الاديـب عامة انها مجال خصب للحساسيـة وللعقد النفسية لذلك لا يستغرب أن يـرد فى انتاج البعض ما يعكس نفسيته .. اما على المستوى الاجتماعى فان فترة التحولات الاجتماعية التى تعرفها دول العـالم الثـالث الخارجة من مـرحلة الاستعمار حديثا كثيرا ما توفر مجال الضغوط الاجتماعية والسياسية ممـا قد يقف حائلا أمـام حرية الكاتب أو ينعكس فـى رد فعله تجاه المجتمع فى شكل ضبابى أو أقـل وضوحـا مما ينتظر منه . والكاتب باعتباره مقياسـا للوضـع الاجتماعـى لا يمكـن أن يستشعر من خلاله دائما وبشكـل جيـد حساسيات المجتمع لذلك قد يحدث ان لا يعكس ما ينظر منه من رد فعل كما يجب نظـرا لعدم توفقه دائما فى وعى وتحليـل الوضعيات الاجتماعية التى يتعـرض لهـا .

ولكى نبقى فى نطاق القصة فان الغموض لا يعنى دائما الضبابية وعادة ما يحشر تحت عنـوان « الغموض » كل ما هو « ايحـاء » ادبـى » و « رمـز » وحتى عندمـا يعن لبعض الكتاب ايراد شخصيات مجردة من ملامحها المميزة فقد يكـون وراء ذلك هدفية ما للتعبير عن نمطية مثل تلك الشخصيـات .. لذلك يكون استعمال لفظة « الغموض » لتغطيـة كل ما يبدو مجانبا للمنطق التسلسلـى للقصة الكلاسيكية (رسم واضح لملامح وعادات الشخصيـات ، تنامى الحدث للانتهاء به الى العقدة ثم ايراد المفاجأة الادبية فى النهاية) قـد يجانب الواقع فى عدة حالات .. ويكون من الاجدى ادبيا ان نبحث فى منطق الاثر الادبى عن مبررات تقطيعه او توازى الاحداث فيه او تنميط الشخصيات

ولعل فى مثل ذلك التحليل ما يرفع الكثير من الغموض عن الكثير من الآثـار الادبية وما يرفع المظلمة عن بعض الكتاب .

وهذا لا يعنى بالمرة عدم وجود آثار ادبية فى الساحة لم تكسب اكتمالهـا الادبى اما لضبابية فى تصوير الاحداث والشخصيات او لاختلال فى المعمـار الفنى للاثر الادبى . ويحدث ايضا ان يكون هناك عدم انسجام بين استعمال الوحدات الزمانيـة والمكانيـة .. ولكن فى امكان النقد المنهجـى ان يوضح ما هو ناقص وما هو مخالف للمألوف وفى ذلك الموقف يكون الاثراء ولاضافة.

س 12 ـ ماذا تقول فى ما يسميه بعض الادباء عندنا بالادب التجريبى فى القصة .؟ وهل تعتقد ان رواد هذا الاتجاه قد وفقوا من خلاله الـى اثراء الحركـة الادبية واضفـاء مسحـة مـن الجدة والطرافة عليها ، والى ارساء قواعد واساليب مبتكرة فـى مجال كتابـة القصة القصيرة بربوعنا ..؟ وهـل يمكن اعتبارك رائـدا من رواد هـذا هذا الاتجاه ..؟

ج : سأبدأ الاجابة من النهاية لانى لا اعتبر نفسى من رواد هـذا الاتجاه التجريبى فـى القصة اذ ان من اعتبـروا انفسهم كذلك قد ارفقوا نصوصهم القصصية ببيانات جاءت للتوضيح وللدعم او للفت النظر وبما انى لم اكتـب مثل هذه البيانات فلا يمكن ان ادعى ذلـك .. رجوعـا الى « الادب التجـريبى فى القصة » يمكن التذكير ببعض المراحل التاريخية لهذا الحدث :

ـ لم يوضع هـذا المصطلح منـذ البدايـة بكل الوضوح الذى يعرف به اليوم : . فى البداية كانت هناك رغبة فى « تحديث القصة القصيرة » بـرزت لاول مرة عند محمـود بلعيـد (هنده : قصص عدد 8 ، جويلية 68) عز الدين المدنى (الانسان الصفر : قصص ـ عدد 4 ، جويليـة 67) مع الملاحظـة ان ذلك كان يتم فى نطاق جلسات « نادى القصة » التى ابتدات منذ سنة 1964

حيث تمتد المناقشات لكى تشمل كيفية كتابة القصة وتحليل نماذج منها .. وفى نفس النطاق كانت تعرض دراسات عن القصة كما تنعكس من خلال مطالعات اعضاء هذا النادى .. وبقليل من الذاكرة التاريخية يمكن ان نربط بين ما كان يحدث على الساحة الادبية عندنا وما كان يصدر الينا من اروربا من نظريات حول مشكل الكتابةر لمن وكيف ؟ (جان بول سارتر ، آلان روب قرييه ، بكييت) من دراسات مترجمة عن القصة ما يوضح المناخ الادبى الذى كان يحرك هذه المجموعة من القصاصين .. ولم يبرز مصطلح الادب التجريبى الا فى بداية سنة 1969 عندما حدث رد فعل نقدى ازاء « الانسان الصفر » لعز الدين المدنى التى أعاد نشرها فى مجلة « الفكر » (سنة 14 ، عدد 3 ، 1968) وكأن النقاد قد فاتهم ان « الانسان الصفر » قد نشرت منذ ما يزيد على السنة بمجلة قصص بشكل مغاير لذلك الذى برزت به فى الفكر .. وفى ذلك المقال الذى كتبه عز الدين المدنى بالفكر بعنوان « المغالطة » (سنة 14 ، عدد 5 ، فيفرى 69) تحليل للادب التجريبى كما يراه صاحبه .. وكان له مجال اوسع فى « العمل الثقافى » الذى اشرف عليه فى تلك الفترة لتحليل مفهوم الادب التجريبى بمزيد من الاطناب ثم كانت له عودة للموضوع من خلال كتابه « الادب التجريبى » (الشركة التونسية للتوزيع ، 1972) .

ـ لم يدع احد غير عز الدين المدنى انه يكتب فى الادب التجيبى حسب المصطلح الذى جاءت به النظريات الادبية الغربية وكل ما هناك ان تعاطفا فى الشكل القصصى كان يبرز عند بعض القصاصين الآخرين وهو صدى للموجة الشكلية التى عمت الادب الاوروبى بعد الهيكلية ولعل اقرب من كان قابلا للتصنيف مع عز الدين المدنى هما محمود التونسى وسمير العيادى . ولكن مناخ نادى القصة كان ارحب من ذلك لان فيه كانت نخبة الاسماء التى كتبت وما زالت تكتب القصة القصيرة فى تونس وقد كان فى ذلك الاحتكاك

س 13 ـ كيف ترى مستقبل القصة عندنا ..؟ وهل تعتقد ان الرواية اصبحت مزاحما خطيرا للقصة القصيرة كما يزعم البعض ..؟

ج : القصة باعتبارها نوعا ادبيا يستجيب لحاجيات ابداعية فى الانسان لا يمكن ان تختفى حتى وان عرفت مجالات تعبيرية اخرى غير الكتابة ونظرا لكل تلك الاجيال التى تصنعها المدارس اليوم والتى تتغذى فى نصيب وافر من الادب التونسى الحديث ونظرا لنسبة الشباب الطاغية فى المجتمع التونسى وتوفر نصيب من الهياكل الثقافية (مثل المكتبات العمومية والدوريات الادبية) فان مستقبل القصة فى تونس لا يمكن ان يكون الا افضل .. اما هل تصبح الرواية مزاحمة للقصة القصيرة فذلك من نوع مزاحمة التلفزة للسينما او مزاحمة التلفزة الرياضية للملاعب .. لا اعتقد ان العملية التعويضية بين الرواية والقصة يمكن ان تتم على حساب احداهما فى صورة توفرهما معا لان لكل من هذين الصنفين المنتمين لنفس النوع مجالا لا تستجيب له مقومات الصنف الآخر .

س 14 ـ هل تعتقد ان القصة فى هذا القطر قد اصبحت فى مستوى القصة العربية والعالمية ؟.

ج : فى هذا السؤال شبه إحساس بالنقص وللاجابة عنه يجب تحديد مقياس المقارنة فالمقارنة الكمية غير ذات جدوى اذ قد تنتج البلدان العربية الاخرى ما يفوق انتاجنا ولكن ذلك مرتبط بهياكل النشر والتشجيع على الانتاج وقد يكون عدد الكتاب عندنا اقل من العديد من الاقطار الاخرى ولكن ذلك يجب ان يربط بعدد سكان العالم وقد يكون الاقبال على المطالعة اقل

مجال للتاثيـر والتاثـر . ولكن تبين فـى ما بعد ان نادى القصـة قد اعطـى مجموعة من القصاصيـن تشعبت بهم السبل الـى الحد الـذى يصعب فيـه حشرهم جميعا تحت إسم « الادب التجريبى » .

مـا يستنتج من الادب التجريبى هو انه بحث دائم للتجاوز وسعـى الـى الاضافة وحسب هذا المفهوم فان موقف إلكاتب يكتسى ازاء انتاجه ومجتمعه تلك المسؤولية التـى تجعل منه واعيا بجذوره التراثية ممحصـا لروافـده الثقافية شاهدا علـى عصره رائدا فى ابراز نواحى الاختلال فـى مجتمعه .. ومثل هـذا الموقف لا يختلف اثنان فى جدواه وفـى الاثراء الذى يمكـن ان يضفيه على الحركة الادبية بما يكسبها من جدة وطرافة ولكن هناك دائما بونا بين النظرية الادبية وتطبيقها ... وان كانت النزعة التجـريبية فى القصـة التونسية قد اتخذت شكليا تركز اساسا حول موقفنا من التراث ومن اللغـة على وجه الخصوص باعتبارها من القنوات الرئيسية التى تربطنا بهذا التراث فـان ذلـك غير مقنع للتخلى عـن المفهوم الاشمل للتجريب الادبـى اذ ان التجديد ضرورة للبقـاء وفى اسمـاء القصاصين التونسيين مـا يمكـن من تلمس جوانب تجريبية عديدة اخرى لم تقف عند الشكل القصصى او اللغـة القصصية لكـى تصنع منهما الهـم الاساسـى لها وحتى وان كان فـى بعض المواقف الفرديـة من خلال البيانات الادبية او تطبيق النظريـات الادبية ما لا يدعم جدوى التجديـد والتجاوز فان ذلك لا يعنى عدم جدوى تلك النظريات ولسنا فى حاجة الى ان نبحث عن هذه النظريات عند غيرنا اذ قد يحـدث ان نكتشف اننا مع الغرب فى عدة مفاهيم ادبية ولكن موقفنا النقدى من التراث ومن المستجلب من الثقافة هـو الذى يضمن لنا اكساب التجريـب مفهومـا وطنيا وقوميا حتى وان لم يرفق ذلك باليانات التوضيحية ... وفى خضم كل الحركات الادبية يكون من الضرورى ان يعمل الزمن تأثيره لكى يبقى ما ينفع النـاس ..

مما فى بعض الاقطار الاخرى ولـذلك اسبـابه .. اما المقـارنة النوعية وهى الاصعب فترتكز علـى مدى استفادة الكاتب التونسى مـن التقنيات الادبيـة فى مجال القصة ومدى ما يوفره انتاجه القصصى من متعـة فنية واستجابـة لدى القـارىء وهذا مـا يمكن للنقد ان يوضحه والشىء الثابـت ان القصـة التونسية جادة فى توجهاتهـا مـرتبطة بمشاكل الانسان التـونسى تسعى للتعبير عـن مشاكله الفردية والجماعية ومن هذا المنطلق وباعتبارها تتغذى من الروافد العـالمية دون احسـاس بالحرمـان فلا موجب لان نحس ان مـا ينتج عندنا فى ميدان القصة قـد لا تتوفـر فيه ميزات القصة الناجحة التـى تنتج فى بلدان اخرى .

س 15 ـ هـل توجد ازمة ثقافيـة ببلادنا ؟
وما هـى اسبابهـا فـى رأيك ..؟
وكيف السبيل للتغلب عليها ؟.

ج : الازمة موجودة منذ سنوات والكثيرون يؤكدون وجودها ولكن ذلـك لم يوقف الانتاج .. اما الاسباب فيمكن ان نراها فى كل ما يحمل مسؤوليـة ابتداء من دواليب الثقافة الى كسل الكاتب والقائمة طويلة والحديث يحلـو للمهتمين حول الازمة الثقافيـة ولكن كيف السبيل للتغلب عليها (لا يكفـى ان يصبـح احـد الادباء وزيرا اول او وزيرا للثقافـة لكـى تختفـى الازمـة الثقافيـة) ..؟ يمكـن دائما تصور اجراءات جماعيـة تخص النشر والهياكل الثقافيـة حلولا أسلم من غيرهـا لتوفير الحظ للجميع وقد يكون فى هيكلة وزارة الثقافة بداية لوضع المنهج الذى يسمح بتحسين وضع الثقافـة ولكن لا يكفى أن يكون لنا اتحـاد كتاب بقائمة طويلة من الاسماء اذا كان نفسنـا الادبى لا يتجاوز الكتاب الاول .. ولعل مشكلنا الاساسى ان اجيالنا المنتجة ثقافيا (فـى الادب والمسرح والسينما ولانتـاج الاذاعـى التلفزى) قصيـرة النفس لا تعيش اكثر من بعض السنوات وتتحرك فـى تطورها حسب قانون الطفرات وهذا الوضع ناتج عن عدم استقرار الهياكل التى تنشط من خلالها وعدم استجابة هذه الهياكل لطموحاتها .

س 16 ـ مـا رايـك فـى حـركـة النشـر عندنـا ...؟

ج : غير كافيـة وطاغية عليهـا التراتيـب الادارية ولم تجد سنـدا من المبادرات الشخصية لانها علمية غير مضمونة تجاريا .

س 17 ـ كيف يبدو لك وضع الاديـب فـى تـونس ...؟

ج : يختلف باختلاف الاشخاص فهناك الاديب الوزير والاديب الموظـف والاديب المنفى ووراء كل هؤلاء يأتى الادب فى الدرجة الاخيرة من اهتمامـات الاديب لمجرد ان الادب يضمن القوت لصاحبه .

قابس فى 10 جانفى 1984

احمد ممـــو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منشـــورات « قـصـص »

مجمـوعـات قصصيـة

1) أحـاديث النسيـان ..... يحيـى محمـد
2) الوجـه الآخـر للحكـاية .... ابـراهيم بن مـراد
3) النفـق ..... زضـوان الكـوني
4) لا .. حتى النهـاية ..... محمـد الحموسي الحنـاشي

اشجـــان « الجيـــلانى »

بعد أن أغلق الحانوت قرابة منتصف النهار من يوم جمعة رجع الجيلانى الى الدار لا يحمل على كتفه ذاك القماش الوبرى ليصنع منه برنسا موشى بنقوش جميلة عند الصدر ، فهو قد اعتاد فى وقت القيلولة عندما يغلـق الحانـوت أن يعمل قليلا فى الدار حتى موعد آذان العصر . عندها يصلى حاضرا بالمسجـد ويرجع ثانية الى الحانوت .

وعندما دخل الدار كان مقطب الجبين واجما على غير عادته وكانـت حالتـه النفسية تبدو متعكرة كثيرا فحتى أطراف شاربيه الدقيقين الحساسيـن كانت ترتعش برفق .. لم يعر أى اهتمام الى زوجته ولا الى أولاده الثلاثة الصغار .. كانت زوجته فى تلك الاونة منهمكة فى تقشير حبات من الفجل لاعداد وجبة من « السلطة » .. اما أولاده فكان أحدهم بصدد فتح حقة مصبرات فارغـة اصنع لعبة ما . والآخران يتنازعان من أجل حصان خشبى لا يشبه على كل حـال حصان طروادة التاريخى .

كانت الافكار السيئة تدور بفكره فى ذلـك الحيـن فتجعلـه مشوشا فـلا يستطيع تركيز قواه الذهنية فى اتجاه واحد لكثرة ما احدثته تلك الافكار من بلبلة فى نفسه .. بعد أن اعدت زوجته « السلطة » دعتـه الى الافطار فأعتـذر متعللا بقلة شهيته الى الاكل . وعرفت زوجته ببداهتها أنه يعانى حالة نفسية غير عادية فلم تلح عليه . واكتفت بأن دعت أولادها ليتناولوا طعامهم .

لم يستطع البقاء طويلا فى البيت فخرج حالا لا يدرى أين يذهـب . ولكنـه خمن أن يتمشى فى الواحة بعض الوقت حتى يحين موعد صلاة الجمعة فلربما تستريح نفسه المتعبة ويهدأ خاطره المتكدر ..

وقبل ان يستدير خارجا لاحظ نظرات الحيرة والاستغراب بادية عـلى وجه زوجته فأشتهى فى تلك اللحظة أن يفتح قلبه ويحكى لها عن همومه وهواجسه

ومشاكله . ولكنه تصور انها حتما سترميه بتلك النظرة البلهاء الساذجة فيجد نفسه مضطرا الى ادارة دفة الحديث فى اتجاه اخر كالحديثمثلا عن زوجة أخيها النازح الى العاصمة رغم تطيره من مجرد ذكر اسمها ..

قبل أن يصله ذلك المكتوب المشئوم وقرار مجلس التأديب برفض ابنهالاكبر من المعهد كان هادىء البال رغم الفقر والعسر ، ولكن المستقبل كان كثيرا ما يشغل باله فهو زيادة على قلة ذات اليد التى يعانيها فان أولاده لا يزالون صغارا ولم يحن بعد وقت تشغيلهم اضف الى ذلك عدم امتلاكه لأى شىء يمكن أن يدر عليه بعض المال الاضافى يرفع ولو قليلا من دخله المتواضع غير القار .. هذا الدخل الذى يحار فى كيفية توزيعه على الحاجيات المتأكدة .. كان فى مقدوره سابقا عندما كانت صحته طيبة أن يفتش له عن شغلعوض حرفتههذه التى أضعفت بصره وهدت أصابعه من فرط استعماله للمقص والابرة .

يجلس الجيلانى كل يوم قرب ابى بكر « الخياط » يخيط البرانيس ويصنع « الطربوشه » وفى أسفل جناحى البرنس..وهذا العمل يبدو فىظاهره بسيطا لا يستدعى جهدا كبيرا ولكن الجيلانى يستطيع أن يبرهن لأى كان على أن هذا العمل هو من أتعب الاعمال وأرهقها زيادة على أنه لا يدر كثيرا من المال على صاحبه فمما يسببه هذا العمل بعد سنوات ضعف فى البصر والآم فى مستوى الركبتين والظهر والرقبة وذلك نتيجة الانحناء لمدة طويلة فى اليوم والنظر المستمر الى الابرة . الا أن الجيلانى لا يقضى وقته كله وهو هكذا منحنيا على القماش الوبرى السميك فدكان أبى بكر الخياط يؤمه عدد لا بأس به من الناس الذين يؤنسونه بأحاديثهم المختلفة ، فهناك « على حركات » أو ما يسمونه بالاذاعة المتنقلة وذلك لكثرة ما يجلب وما ينقل من أخبار محلية وجهوية فى بعض الاحيان . وهناك « صالح البرادعى » الذى يكاد يكون حضوره فى الصباح مستمرا .. هذا الرجل القادم من أتون الحرب العالمية الثانية فبدلته التى تبدو عسكرية وحذاؤه « البرودكان » الضخم يعطيانك فكرة واضحة عن ميولات هذه الشخصية التى تبقى غامضة رغم استرساله فى الاحاديث الحربية وغيرها فهو لا يترك مناسبة تمر دون أن يذكرك ببطولاته وماعاناه من ويلات وعذاب ويمزج أحاديثه بأشياء وهمية كان يقول لك مثلا : انه عندما كان يقنبل على مدينة « برلين » وهو يقود الطائرة اذ اصيب جهازها بقذيفة فما كان منه بعد اشتعال النار فى الطائرة الا ان رمى بنفسه فى الهواء مستعملا قميصه كمظلة للنزول .

وهناك أيضا أبو بكر الخياط هذا الرجل الذى بينه وبين الجيلانى علاقات مهنية وعشرة طويلة فهو الذى فتح له دكانه ليعملا معا وفى ذلك تكامل بين شغليهما فأبو بكر يقيس القماش الوبرى ويقصه ويفصله والجيلانى بعد ذلك يقوم بالخياطة يدويا ويصنع للبرنس تلك النقوش الجميلة وتلك الزهرات الخيطية ثم انه شخصية مرحة محبة للفذلكة وللنكت والفكاهة والاحاديث الساخرة شأنه فى ذلك شأن أغلب سكان الجريد .

فى كل صباح بعد فتح الحانوت يخرج الجيلانى كانونا حديديا من خلف الباب ويضع فيه شيئا من الفحم ثم يفرغ عليه قليلا من النفط ويشعله .. فى تلك الآونة يخرج من الحانوت مخدة هزيلة محشوة بقطع القماش يجلس عليها ويأخذ فى نفضها من الغبار بواسطة عصا فى طول الذراع تستعمل لقيس الاقمشة . وبعد أن تحمر الجمرات فى الكانون يدخله استعدادا لطبخ الشاى وقبل ذلك يكون الجيلانى قد أكل وجبة الصباح لدى « محمود » الطباخ . وهى عبارة عن صحن من « الهريسة » (حمص مطبوخ ممزوج بشىء من الطماطم والفلفل المسحوق مع قليل من الزيت والتوابل) فهو لا يحب أبدا أن يشرب الشاى الاحمر ومعدته فارغة ..

ARCHIVE

وبما أن الحانوت يقع بسوق « الربع » هذا السوق الذى يحتوى على عدد من الحوانيت لبيع المواد الغذائية والخضر التى غالبا ما تجلب من الواحة كما يحتوى هذا السوق على حانوت حلاقة وحانوت لاصلاح الدراجات الهوائية وحانوت آخر لحداد يصنع قدور النحاس المختلفة الاحجام ويقوم بتنظيف وتلميع القدور القديمة المسودة وهناك ايضا أسكافى عجوز الا أن هذا الأخير لا يملك حانوتا بل أنه اتخذ مكانا ضيقا تحت حنايا بعض الحوانيت يعمل فيه .

ولهذا فأن موزع البريد يمر يوميا على هذا السوق الصغير ويقوم بتوزيع الرسائل وكثيرا ما يترك العديد من الرسائل ليتولى أصحاب الحوانيت تسليمها الى اصحابها ..

وفى ذلك اليوم جاءه الموزع برسالة فخفق قلبه بشدة خاصة عندما رأى على ظهرها ختما أحمر ولما فضها تأكدت هواجسه وأوهامه « بعد اجتماع مجلس التأديب للنظر فى سيرة ابنكم التى لا تشرف المدرسة بحال من الاحوال تقرر

فصله .. » .. أحس بآلام الظهر والركبتين تعاوده بشدة . وغامت الحروف والكلمات أمام عينيه وأحس بدقات قلبه الواهنة تضرب بشدة فى دماغه وتراءى له المستقبل شيئا غامضا باهت اللون كلون برنس قديم فقد اللون وشعر أن عقدا من الزمن قد انسلخ من عمره فى تلك اللحظات .

قال له أحد أساتذة ابنه فى يوم ما ..

ـ إن ابنك « النورى » يتغيب كثيرا عن الدراسة زد على ذلك سيرته المشينه فى المدرسة ومظهره المخزى الذى يجلب الاشمئزاز وذلك نتيجة اختلاطه بالسياح السيئين »

وقال له استاذ آخر .

أنت يا جيلانى رجل عجوز وأنا فى الواقع أحس نحوك بالعطف ورغم اعداد ابنك الهزيلة جدا فى الامتحانات فأنه ما يفتأ يحرض التلاميذ على ليهمسوا عندما أمر فى الساحة « مسمار القصعة » ولا استطيع طبعا فى تلك اللحظة إلا أن اقضم أظافرى بعصبية ولهذا تراني حتما مجبورا على منحه اعدادا رديئة هو فى الحقيقة يستحقها وهذا ليس ذنبى طبعا ..

ومن وقتها عرف أن ابنه يتبع طريق الظلال ورغم نصحه له أول الامر وتوبيخه له بعد ذلك ـ الا ان هذا الابن العاد بقى على حاله سائبا مع السياح تاركا بذلك دروسه ..

ويوم فاجأه وهو يدخن أحس بأن العالم فسد وأن الحياة ما عاد يستسيغها ولم يزد على أن ناداه وقال له بأسف عميق ـ انت تعرف انك مازلت غرا والافضل لك أن تقلع عن التدخين حالا وأن تكف عن ملاحقة السياح والا .. فانك ستتسبب فى ارتفاع ضغط الدم عندى فأموت أيها اللعين .. وقال « اللعين » وهو يصر بأسنانه بتوتر واضح .. وعرف ببداهته أن ابنه لا يدخن فقط بل يشرب الخمر ويزنى ويأكل لحم الخنزير ولا يصوم رمضان و .. و .. و .. ولما أنم توبيخه له لاحظ أن ابنه يطيل النظر اليه باستخفاف وقح ود وقتها لو هجم عليه بضراوة وانشب أسنانه فى رقبته ..

وبما أن هذا الابن صار فى طوله فان الجيلانى صار فى كل مرة تلتقى عيناه بعينيه يلجم عواطفه المتأججة ويكبت غضبه حتى لا يحشر نفسه فى صدام بينه

وبين هذا الابن الذى صار له لسان حاد كالشفرة وبذاءة وقحة وذراع قوية كاذرع الصعاليك .

ويتذكر الجيلانى صباه وما كان يكنه من احترام لوالده وكيف كان يكلفه فى بعض الأحيان يحمل عددا من البرانيس الى بعض تجار « اللفة » بالشمال حيث تلقى هذه البضاعة رواجا ..

وعندما توفى والده ورث عنه هذه الحرفة واستقر فى حانوت أبى بكر الخياط وبين الحين والآخر عندما يتجمع لديه عدد من البرانيس والجبائب يقوم بسفرة قد تدوم أياما يتنقل خلالها بين المدن والقرى يبيع بضاعته ويرجع وقد تحصل على أرباح لا بأس بها ..

« وبلع الجيلانى السكين ملوثا بالدم » كما يقول المثل الشعبى وصبر واتجه الى الله فى تضرع أن يهدى هذا الابن الضال الى الطريق المستقيم .. وضع جميع أسلحته وبقى ينتظر فهو ضعيف وقواه بدأت تنهد .

ولكن الشىء الذى يحزنه أن يعجز فى يوم ما عن العمل وأولاده لا يزالون صغارا فكيف يصنع لا عالتهم ؟ انه لا يملك شيئا فى هذه الدنيا الفارغة وهذا الولد الطائش لا يفهم هذا الامر .

وعاودته الافكار السيئة فألقى نفسه وحيدا فى هذه الدنيا يصارع الايام ومرارتها من أجل الحصول على رغيف ممزوج بعرقه وبضوء عينيه يقسمه على الأفواه المفتوحة..إنه يحس بالشيخوخة بدأت تدب فى أوصاله وبقواه تنهد.. ويتنهد ويدعو الله متضرعا أن يطيل عمره ويمتعه بالصحة حتى يرى أولاده وقد صاروا رجالا يعملون ويكسبون ويحصلون على رزقهم بأنفسهم عندها يسلم أنفاسه الاخيرة وهو مرتاح البال ومطمئن على مصيرهم ..

وبينما هو فى هواجسه اذ سمع آذان صلاة الجمعة فاتجه الى اقرب مسجد ليؤدى صلاته .

احمد الفهيرى

نفطه

قمـر كيـلانى

الـــوجـه الآخـــر

بكت ·· وخشعت ·· وصلت وأصبح من رأتهم عالقين بأهدابها ·· يسدون عليها النوافذ والابواب صارت تراهم فى اللقمة الشحيحة الـتى تأكلهـا وفى شربة الماء كما لو أنها تفتات لحومهم وتشرب من دمائهم · دخلوا الغرفـة المغلقة حيث اختبأت والتصقوا على الجدران وكلما داهمها النـوم هبطوا فوقها مثـل ثلج رمادى ، آه ·· يا برد شتاء لم يقبل بعد كيف لها أن تنسى أذرعهم المحدودة فوق الأرض المحروثة والارجل التى انغرست ·· مثل اوتاد الخيام ، كيف لها أن تنسى الاثداء المعجونة بالتراب وأفواه الاطفال يشدها فراغ الموت؟ كيف لها أن تخفف دموعا تمطـر فى الاعمـاق · دون عيـون سفحتهـا ·· وارتـدت القشعريرة .. وابتلعت ريق الجفاف .

فى سرها أقسمت للوطن الذبيح ··· عاهدته ان تفعل ··· ولكن تـرى ماذا تفعل ؟ الوطن حروق مزقته وجراح تنزف وكلمـة فى الاعالى حيـث الله · والآن ·· هو نار وموت · من النار يهربون الى النار ··· ومن الموت الى الموت ترتسم الخطى .

الليل مرآة وشمعة ، تلطخ المرآة بالسواد وتغمس بالدم بياض الشمعة · صارت المرآة سوداء ·· وسنوات العمر تقطر سائلا لزجا له حـرارة الجسـم البشرى ورائحة الدم · وفى ثنايا آخر ثوب ترتديه صورة باهتـة مقصوصة من صحيفة يومية · تمسك بها بيد ·· وباليد الاخرى تمسك بيهودا · لا تقدر ان تحتفظ بالصورة ولا ان تخنق يهودا . تهاجمها السماء مرعبة أصبحت تملأ أذنيها... شارون ، بيغين ، شامير ، مردخاى ، الياهو... ولكن لماذا تحاصرها هذه الاسماء ؟ المسيح صلب منذ قرون ·· والوطن صليب تدق فيه المسامير ·· من صدرها تطير حمامة بيضاء ... تقبض عليها دافئة مرتعشة ثم تطلقها فى سماء مجهولة . آه يا مصعب .. أين أنت ؟ اعدادنا تتساقط كأوراق خريف

تجتاحها عاصفة ... صغارنا أصبحوا يحملون السلاح ... وفتياتنا قصصن شعورهن وجازفن بكل شيء من أجل المصير .

تحاول ان تفرد اعضاءها المتيبسة ... ان تحرك عضلات وجهها ... ان تطلق ولو كلمة واحدة . تفشل . هل هى ميتة ؟ أم منومة ؟

يا عيون الليل الجاحظة المرعبة .. يا اشباحه وخفافيشه وثعابينه السامة .. يا شقوق الارض المتفجرة بالهلاك ... يا ألسنة النار انت جميعا معى هنا .. وفى السرداب المجاور حيث يقبعون منتظرين. حتى متى سينتظرون واللحظات هى الحاسمة وكل لحظة تاريخ ؟

ملامحها ضاعت منها .. مع اللحم المهزوم مع الاصوات المعلقة على اسلاك الكهرباء وفى زوايا الشوارع وبين الانقاض والخرائب والاغطية المتربة . هل تستطيع يداها ان تلملما خيوط المأساة ؟

والحزن يهبط بها ... الى وديان سحيقة .. طفل فوق سرير من المسامير تهزه يد الشيطان وينقط دمه قطرة قطرة وجدته تقص الحكاية (كان طفلا دمشقيا .. وسحبوه الى حارتهم السوداء .. وغطوه بثيابهم السوداء .. وامتصوا دمه بحقدهم القديم ... ومنذ ذلك اليوم لم تطأ اقدامنا حيهم القديم ومع أن المدينة كانت حصينة مثل قلعة فقد نبهنا اطفالنا ألا يبتعدوا عن اعتاب البيوت) . لكنهم يا جدتى اليوم يفتحون المدن ... يقتحمون البيوت ويمزقون نحوم الاطفال فماذا نفعل ؟ صرخنا .. احتججنا .. قاومنا .. وحملت الريح اصواتنا من جهات الدنيا الاربع ولم ينجدنا أحد ، لم نجد إلا أن نرتدى ثياب النار . طمروهم بالمئات وعين اسماء تنادى كل الاديان الخبز الذى عجنوه بدم الطفل الدمشقى كان طعمه مرا .. وغصوا به كلقمة الزقوم ... وأحاطت بهم عيون مسنونة كالحراب فشلت ايديهم ، ولما فضحوا وذاع امرهم ناموا على الهوان والذل لكن الذين يأكلون اليوم خبزا يوزع على الجميع لا يعرفون ماذا يأكلون .

الليل وصمت تعرف انه مؤقت يفترسها ، هذا الصمت ... ما وراءه . ساعات مضت ولم تنطلق رصاصة ، هل معنى هذا انهم اقفلوا بوابات الجحيم ؟ لا ... لا تصدق . قبل يومين كان الامر كما هو الآن ثم انفجر كل شيء من

جديد . وتحت زخ الرصاص تسللت لتتلقى جواب الرسالة التى بعثت بها الى مصعب ... وفوجئت أن مصعب عاد وزمجر بها مثل وحش يقع فى قفص .

لا ... لا أستطـع أن أكـون الا انا نفسى ... لا أريـد أن أزور ولا أن أن أصبغ اى خيط فى نسيجى . لن أكذب عليهم واقول إننى انـا (قاسم) . ضائع انا كما تسميننى .. ومنحرف .. وربما خائن والدم فى عروقى لاينبض معكم فماذا أكثر ؟ انا شربت مأساتى وانتهى الامر . لفظنى المخيم وطردنى.. طردنى مثل كلب لاننى سرقت ، انا لم اسرق بنـدقية ... ولا معلومـات ، سرقت خبزا لامى التى جاعت ، وماتت أمى قهرا وأنا هربت ...

تصـرخ بـه :

ـ كفى ... ارجوك ... لا تعد على اسطوانتك السخيفة هذه . انت لم تهرب .. ولم تكن خائنا .. انتهينا . لكننا لم نكن نحتاج اليـك . ومبرراتك كذلك لم تقنعنى...ولا تخطف بصرى كل مناديل الحواة المهرجين التى تخرجها الآن من جيوبـك .

يـرد :

ـ وما قد عدت بينما القتال هدأ ... والمقاتلـون انسحبـوا ... فمـاذا تريدوننى ان افعل .

تقترب منه .. تفرس عينيها فيه :

ـ وجه آخر .. وجه آخر اريدك . ان تكون بديلا . هل تفهم ما معنى أن تكون بديلا ؟ هل تفهمنى ؟

ـ بل انت افهمينى .. من آخر العالم جئت ، حين وصلتنى رسالتكـم من المخيم كنت لا أزال اعلق على جدارنى قرار اتهامكم لى ، كنت لا أزال امضغ المرارة التى ملأتم بها حلقى . ومع هذا جئت .

ـ ايام العذاب كانت طويلة ... شهر ... بل اكثر من شهر .. هل كان يجب أن ندعوك لكى تأتى ؟ أما سمعت : أما علمت ؟ ألم يتحرك الغضب فيك،

والحزن ينقض فوقها ضبابا رماديا مشبعا برائحة الجثث ... تتهاوى البيوت الضيقة المرصوصة مثل علب الكبريت ·· يتبعثر الصراخ وتسقط اشجار صغيرة زرعوها على اكتاف الشوارع حاصروهم ··· وهاجموهم ·· رغم أن المقاتلين لم يكونوا بينهم ·

مصعب لا بد ان يصبح الوجه الآخر ... البديل ، انهم ينتظرونها ، مجموعة المختبئين ولقد وعدتهم أن تعود بقاسم ·· وقاسم تناثر لحمه أمام عينيها وسحقته جرافة ضخمة .. مجموعة المختفين عن الانظار المنتظرين لقاسم يزداد عددهم · اكثر من عشرين أصبحوا بين اشبال ونساء واطفال كلهم مقاتلون ·· او يستطيعون ان يقاتلوا لكنهم ينتظرون ظهور قاسم · وقاسم لن يظهر · مصعب شوهته أحداث صغيرة وقعت فى المخيم وآثر الفرار.هو فى رأيها انهزم مصعب شهوته أحداث صغيرة وقضت المخيم مآثر الفرار · هو فى رأيها انهزم واخطأ · لكن الوطن لا ينهزم فى الاعماق بهذه السهولة ·· وهو يستطيع الآن ان يكفر عن خطئه ·· وان يكون البديل ، ما افظع فكرة البديل ·· تمقتها حتى ولو كانت لممثل وترى فيها اذلالا وشناعة ، ان يلعب المرء دورا ليس دوره ·· أو ان يكون الظل حتى الاضواء لا يستطيع ان يواجهها كى لا ينكشف ·· لكن مصعب قد فقد فرض اختياره ما عليه الا الاذعان ·

رافع لا يقاوم يمين عليها أن تأخذ اليهم (مصعب)، يصيح فى عروقها جرس انقاذ من نوع ما لهؤلاء الناس الذين يريدون قاسم ··· أو بديلا لقاسم تنظر الى مصعب ·· تتفرس فى ملامحه ·· تخترق مجاهل عينيه ··· هذه النظرة الزجاجية الباهتة التى اطفأت اغوارها الغربة ، هذا الجسد الذى لا يزال يفوح بعطر لا تعرف اسمه ... هذه العضلات المتراخية وقد خدرتها اطعمة الحضارة وسمومها ، كم تمقت هذا فيه ·· كم تحقد عليه ، كان غائبا ··· وكانوا وحدهم هذه هى الحقيقة التى تجرح كحد السكين ··· الا أن هذا ليس وقت الحقد · تحتاج اليه ... وسوف يغدو منقذا . ولعل فى هذا انقاذا له مما هو فيه .

ـ وشارباك ايضا ... لم حلقتهما يا مصعب ؟

ـ وهل هذا مهم ؟

ملعونة تلك الافكار التى تهاجمها كاسراب الزنابير،يمكن الا يصلح مصعب لهذا الدور ·· بل لاى دور ، يمكن أن تفجع المجموعة به فتزيد فى آلامهم ،

مصعب أضاع ملامحه الحقيقية وصوته الحقيقى سقط منه ، حتى ولـو نبـت شارباه ووضع على رأسه (الشملة) وحمل السلاح هل تستطيع ان تخرج به الى حيث اخوته ونساء الحى من ثكالى وأرامل وتقول لهم : جاء قاسم ليحمـل صخرة النضال ، سيعرف الجميع أنه مصعب وليس قاسم . ولكن ماذا يهم كل ذلك . المهم انه رجع اليهم ... وانه يقف معهم فى خط المواجهة مع الـذئب الاسرائيلى المتخفى وراء اكثر من جلد ... واكثر من سحنة .

الميل ... والموت طائر خرافى يخفق بأجنحته عن قرب .. ايها الموت .. ابتعد عن هذه الرؤوس المفجوعة حتى الدماغ .. عـن هـذه الاذرع والايـدى المتعبة حتى النخاع .

ـ مصعب .. ألا ترى ما أرى ؟ أضواء مخيفة تسلط على المخيم ، ليتنا لـم نختبىء هنا فى هذا الوكر المهجور ... ليتنى لم اتخذ قرارى المشؤوم بذلك .. والصمت الذى نحن فيه أعرف ما وراءه .

صوتها الراجف يغيب ... يبتلعه سكون أصم كالنحاس .

ـ مصعب .. مصعب .. ألا تسمعنى يا مصعب ؟

تتلفت حولها .. اين ذهب ؟ انه آخر طلقة فى مسدسها الفارغ المكسور آخر حبل يمكن أن ينتشلهم جميعا من بئر العذاب هذا .

الرصاص ... الرصاص ... ورشقه يثقب كل خلية فى جسدها لم يعد لها قدرة على ان تحتمل اكثر . ومصعب .. هل يمكن لبيروت مدينـة المـوت أن تبتلعه بهذه السرعة ؟ منذ قليل كان الى جانبها .. وكان من منطقة الحياد بين لا ... ونعم ، لم يعطها قراره الاخير فى ان يكون البديل .. هـل اختفى مرة اخرى ؟ لا... لا يمكن. مصعب فرع من شجرة البؤس المتهاوية تحت الفؤوس يقدر ان يقوم بعملية مراجعة للذات ويصل الى القناعة التى كانـت تسطع فى عينيه وهو صغير ، أليس ابن المخيم ، ألم يولد على سرير العذاب وفى اكـواخ الظلم ، تذكر جيدا كم كان يفور نقمة وحقدا كلما عيره أحد انه من سـاكنى المخيم ... أو أحس أن أسرته يمكن ان تبيت بدون طعام ، كم قسمت الايام عليك يا مصعب ... وعلينا جميعا ، والحادث المشؤوم ذاك الذى كان سببا فى

هروبه ... الم يكن مظهرا فاجعا من مظاهر القسوة ؟ افكارهـا شرارات مـن خواطر سريعة تحرقها بين رصاصة ورصاصة ... والرصاص خافت كما لـو أنه يحتضر . هل يمكن أن توقف تيار أفكارها هذه ؟ تلذعها..وتجعل جسدها ينتفض كما لو أنها تمس تيارا كهربائيا . ولكن هل باستطاعتها ان توقف هذا التيار ؟ هل هى النهاية عندما يسترجع الانسان فى لحظات كل شريط حياته ، حارقة كانت حياتها وطعمها مر .

الانوار الكاشفة تعيد لها الصور اكثر تجسيدا ووضوحا ... تضعها عارية فى وسط المدينة الجريحة ، هناك ... حيث أهلها وجماعتهـا فى المخيـم . احساسها بالعرى يشحنها برودة وبوخز الابر ، تصرخ : مصعب ... مصعب مصعب . الصوت فى حلقها مخنوق ... وعيناها تقيمان فى دخـان رمادى ، انها الاصوات المجنونة ... يا اصوات القنابل والصواريخ فجرى هذا الصمت ويا شمس العالم الحمراء اكنسى الدخان واجعلينا نرى الاشياء على حقيقتها ... وليكن الموت . ليس بعد هذا الموت موت آخـر .

ـ مصعب ... مصعب ...

صوتها يخرج هذه المرة كما لو انه من اعماق بئر ، لا تدرى كم مـن الوقت مضى ، تعرف انه كان الصباح ... وانها على تخوم صباح آخر ، هل احساسها بالزمن قد تخدر ؟ وجماعة المختبئين ... ماذا يفعلون الآن ؟ لابد أن تهبط اليهم لتقول ان (مصعب) قد ضاع كما ان (قاسم) مات ، تخنق خطاها فى سكون مقتسر ، والركام تحت اقدامها يئن ... والزجاج المحطم يدمى لحمها .

فجأة يبرز شخص ملثم ، العينان تمطران حزنا والقدم تضرب الارض بهدوء واثق عنيد ، تصرخ : قاسم ... قاسم ، كان قاسم كما عرفته فى لحظات من الاحباط واليأس ، تقترب منه ، تهز كتفه كما لو انها تهز شجرة ضخمة قطعت كل ثمارها ، تكلمه ، لا يرد ، يطرق بوجوم مفجع .

ـ قاسم ... لم لا تكلمنى يا قاسم . ماذا جرى :

تفزع ، تسرى رعدة فى اوصالها هذا ليس قاسم ، انه مصعب ، هل يمكن ان تخطىء الى هذا الحد ، قـاسم ... مصعب ... مصعب ... قـاسم وتهزهـا نوبة بكـاء .

ـ دموع العالم لن تكفى نساءنا .. لكنك لست المرأة الآن .. انت الانسان المقاوم ..

ـ انت اذن مصعب ... لست قاسم ... لست قاسم .

ـ لم يعد مهما ان اكون قاسم ... او مصعب ، المهم ان يعرف العالم ما الذى وقع توشك ان تقول له ان اللوثة فى عقلها قد وقعت وانها لم تعد تفرق بين قاسم ومصعب ... لكن دمعة الرجل التى تنبجس قطرة عن دم تجمد الكلمات كل الكلمات فوق شفتيها ، فى اعماقها ينهمر انين ... آه يا قاسم ... آه يا مصعب .

ومثل طفل مفجوع بأمه يشهق مصعب ..

ـ قتلوهم ... ذبحوهم ... مثل النعاج حزوا رؤوسهم ... قطعوهم وبقروا بطونهم .

لا ... لا يمكن ان يكون هو الآخر قد أصيب فى عقله ، هل هو يهذى ، عمن يتحدث ، ومن هم هؤلاء ؟

مصعب يضرب الجدار بقبضة يده ويلطم رأسه .. ثم يبعثر ما حوله من بقايا أثاث محطم .

انذارات مجهولة تقرع فى داخلها ، شىء ما غامض يشد أعصابها مثل أسلاك ممغنطة ، انه الاحساس المسبق بالفاجعة ، ولكن ... هل عاد احساسها مستيقظا ، بهذه الصورة بعد كل تلك الفواجع ؟ قلبها يهوى فى قاع سحيق.. هوا. بارد رغم لفح الحر ورائحة لحم ودم .. ورؤوس مسبلة فوق أرض محروقة بالقنابل والصراخ ، يا آلهة جهنم ، هل هناك من مزيد .

ـ مصعب ... قل لى شيئا واضحا محددا أفهمه ... انا لم أصب فى عقلى .. انت أيضا .. قل .

صوتها صغير يدوى فى خلجان مجهولة ... رياح وبروق ورعود ... البحر من بعيد لم يعد يزمجر ... والعالم لوحة فارغة سوداء .

تهبط الى القاع ...

ومصعب أمامها يخرج من ثقب ابرة .

قمر كيلانى

ـ دمشق ـ

يـوسف عبـد العـاطى

طفـل ... هـو الـوطـن

فتحت باب النافذة أتطلع لرؤية يوم جديد . شهيد ... وألف مقاتل ، وليس فى قلبى سوى نشيج ، وحقد ، وتشبث بما أنا من أجله أقاتل ...

كرهت رؤية الدم . دم أمـى ، دم أختـى وهى تتألم . دم طفلى وهو يصطاد الفراشات ، ويهدى لأمه وردة .. دم .. دم .. دم .

صرت أسكن هذا النزل الذى يحمل اسم ابنتى التى ذبحت فوق أرض حنت علينا فسقيناها بدمنا دفاعا عن كرامتهـا . هذا النزل المحاط بالورود التـى لا تعرف الا اعطاء الروائح الطيبة لكل النـاس .

بحلقت فى أرجاء الفضاء فرأيت الشمس تناضل من اجل البروز ستصـل حتما الى تحقيق مبتغاها ما دام الاحمرار قد سبقها . فلتصديها أيتها الكواكب ان كنت قادرة على ذلك . حقيقة بروزها أعظم مـن رفضك لها جميعا . لكـن ، رغم أنها محقة فى البروز فان الاحمرار سبقها . ربما كان بعضا من دمها .

لفحتنى نسمة صباحية شعرت معها بقشعريرة فأغلقت باب النافذة وعينـى تتابع طلوع الشمس . كيف حالهم يـا ترى بعد مـا جرى ؟.. صرت أشعـر بالقشعريرة من لفحة النسيم ؛ بعد ان كان دمى يغلى تحت أصوات القنابل .

اننى لا أستطيع تصور ما جرى ... كيـف يقع كل مـا وقع وأنا نائم علـى فراشـى ؟ .. لماذا كنت نائما حين كانوا يذبحون أمى .. لماذا .؟ كيف أتانى النوم وأختى تسقى بدمها تراب بيروت ..؟ كيف غلبنى من لا ينسـى طفلا ولا شيخا .. فأنسانى .؟ أنسانى أننى تركت أمى .. وأبى وبعضا من اخوتى فى فم عدو قاتلته بعد أن اغتصبنى فنصروه ونفانى ..

حكم علـى بأن أنظـر الى دم أمى وأبى وبعض من اخوتى وهو يسفك علـى شاشة التلفزيون وأنا جالس علـى أريكـة فى نزل تحيط به الورود ويحمـل

اسم ابنتـــى ولا تدخل بابــه الا الانســـام العليلة .. كم أنا ضعيــف .. لمــاذا يشعروننى بهذا الضعف ؟.. لماذا ؟..

فتحت باب النافــذة بحركة آلية أتطلع لهذا الحشد من البشر الذى اجتمع فجأة فكثر ضجيجه ؛ واذا بلهيــب النار يتصاعد الــى أعلى ألم يكف اشتعال قلوبنا حتى تشتعل الورود أيضا ؟.. ألم تكفك يا نار قلوبنا ؟..

ارتميت من نافذة بيتى على أرض الحديقة مثلما ارتميت من قبل على العدو لم نشعر بالخوف أبدا ونحن ندافع عن كرامتنا . ندافع عن حق اغتصب منــا لكننـــى الآن أشعــر بخجل كبيــر ... ابناؤنا ... بناتنا ... أمهاتنا ... آباؤنا ... يذبحون جميعا أمام أعيننا ونحن نصفــق عن كــل شىء وعــن لا شىء ... دمنا يهــدر هبــاء ... ونحن نتخاصم بل ونتقاتل عن هدف سجــل فى مباراة رياضية سنة 1947 هل كان شرعيا أم متسللا ...

انطلقت مسرعا صوب المكان الذى التهبت فيه النار ووردتى التى فى داخلى تشتعل . لم يعد عجبا اشتعــال الورود ... اشتعلت عروس المدن العربيــة بدماء أبنائها فكيف لا تشتعل الورود التى فى صدورنا ؟ كيف ؟..

لست خائفا مما سيقع بعد اشتعالهذه الورود ... علم ... ورشاش ... ودم أسقى به أرضا لتحرر ... ربما يكون ذلك بعد سقوط غصن الزيتــون الأخضــر مــن أيدينــا ... وربما أيضــا بعد اشتعــال الــورود ... كــل الـــورود ...

وصلت الى مكان اشتعال النار ... فاذا طفل فى السابعة من عمره يرفــع علامة النصر ، النار تلتهمه ... أردت الاقتراب منه فرشانى بخطاب بخطاب ... لــم أفهم ما قالــه فأعــاد :

... خلــف هــذا الدمـــــار ...

بت ليلـــى أنتظـــر ...

اقطف لمماتـــى ...
مارشانـى بـه القمـــر ...
جامعـا أمنياتـى ...
فى تياجين من زهـــر ...
مقفلة بأعظـــم صخـرة ...
من كـــل الحجـر ...
قلت : لست أفقـه ما تقـــول ...
قال بيـروت حبلى **مـن** كل الرجـــال ...
بيـروت حبلـى ...
ومواليدهـا أطفـــال ...
خبـزهـم ثـورة ...
ودمـاؤهم أزهـــار ...
خبـزهم ثـــورة ...
وقلوبهـم كالنـــار ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسمرت فى مكانى لا أتكلم . وعلم وطنى فى يد الشبل يرفرف . علمونـى من أول جرعة حليب ابتلعتها كيف أناضل ... لكنهم لم يعلمونى كيف اخاطب الأطفال الذين تأكلهم النار وهم يحملون علامة النصر وباقة ورود ...

نظرت حولى فرأيت سكان النزل يلتفون بالطفل . تفرست فى الوجوه ... غيـر صحيـــح !... لا ...! لا أصـــدق !... فـركت عينـــى ... كيـف ؟ ... كيف يقع كل هذا فى لحظة واحدة ؟.. رأيت النار تشتعل من عيون كل الملتفين حول الطفل . هذا ظلم . انكم لم تأتوا الى هنـا لتحرقـوا الاطفال بل لاشراق البسمة على شفاههم . البسمة التى نسوها لكثـرة مـا تمنوها .. سمعت صرخة . نظرت فى ذعر مثل بقية الحاضرين.لم أر شيئا . نظرت من الجهة الاخرى . أيضا لم أر شيئا . نظرت الى الطفل فاذا هو راكع أمام زيتونة أخذت تقبل الراية التى كانت بيده ترفرف ...

قال لها فى لهفة : ... أمى ... أمـى ... يا ألطف تربة فى دمـــى ... بل ... يا أعذب قطرة من دمـــــى ...

قالت الامم بصوت مبحوح : اننى انتظر ... اننى انتظر ... فمتى تـراك ستنتصر ..؟

قال الطفل باندفاع : ... قبل طلوع القمر ...

صمت الطفل بعد ذلك والنار تلتهمه وهو حامل علامة النصر . رأيت بـأم عينـــى الزيتونة تكلمه بعـد أن خاطبها بـاسم أمـى ... فهـل تراه يكـــون نبيـا ..؟

لست أذكر من كلام أمى الذى تعلمته صغيرا سوى : ... « لا تيـأس ... عليك بالعمل ... فالحياة نضال ... وأعلم أن الغلبة فى النهاية لا تكون الا للحقيقة ... ثم اعلم أيضا ياولدى أننا نبقـى تحت تراب الارض مـدة أطـول بكثير مما نعيشها فوقها . لكن اياك أن تكون جبانـا ... اياك أن تـذل ... اياك ... ثم اياك ... »

هذه أمى ... ومنها أنـا ... انسانـة مثل كـل البشر ... هوايتهـا : نصيحة أبنائها وطعامها : الامـــل ... الامـــل ...

قلت للطفل بصوت ضعيـف : أراك والنار تشتعـل من عيـون الحاضريـن شامخا مثل الجبل ... قال الطفل وهو يضغط راية وطنى ويضم باقة الورود الـى صدره ... الدنيا قـد اغتالتهم ، بحـد القلـم ... فكيف لا تلتهمنـى النيران ... كيف ..؟

قلت وأنا اشعر باختناق ... لكننى أرى النار لا تحرقك ..!

قال بصوت غليظ .. لأننى أقوى .. لأننى أقوى ..

قلت فى تعجب : ... لكن من تكون ..؟ من تكون ..؟

قال بسرعـة : ... أنا الوطن المسلوب ... أنـا الوطن المسلوب ...

وذاب فى قبلة انقطع معها بقية ما أراد أن يقول .

اشتممت رائحة لم أتبينها جيدا لكننى شعرت معها بالخجل ...

انها رائحة الورود التى ضمها الى صدره وذاب معها فى قبلة أشعرتنى رائحتها بالخجل ...

نظرت اليه ثانية بعين منكسرة والخجل يعترينى فرأيت دمعتين على خده . أردت ان اواسيه فغلبنى الخجل ... عندها استرجعت ما فى ذاكرتى فقرأت ... شهيد ، وألف مقاتل وليس فى قلبى سوى نشيج ... وحقد ... وتشبث بما أنا من أجله أقاتل ... حين وصلت دمعتا الطفل الى الارض رأيت جميع من وصلهم نظرى يغرقون فى بحر الخجل ... رأيتهم جميعا كذلك والنار تشتعل من عيونهم ... والطفل يقتل باقة الورود التى ضمها الى صدره أكثر ... وراية وطنى فى العلى ترفرف ... وترفرف ...

فيا وطنا فى داخلى ؛ يسكن بين الآه والخجل ... أقسم أن ليس فى العالم طفل : أروع من وطنى المحتل ...

يوسف عبد العاطى

تونس فى : الاربعاء 24 نوفمبر 1982

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمـد الهـادى الفطنـاسى

قد أشعت الشمس بعد كسوفها

كانت قرية فى الجنوب قابعة بين الكثبان الرملية وبساتين النخيل مغمورة لا يكاد يسمع بها إنسان ، وكان أهلها يعيشون فى جـو مفعم بالهدؤ لا يعكر صفوهم معكر . وكانت هذه القرية منعزلة لا يربطها طريق بالمدن الكبرى الأمر الذى جعل سكانها بعيدين عن المجتمع المتحضر . وبذلك فهم للبداوة أقرب منهم الى الحضارة حيث كانـوا ينتجعون فى فصـلى الربيع والصيـف الى المرابـع الصحراوية الخصبة ، أما فى فصلى الخريف والشتاء فانهم يعـودون الى تلكم القرية للاشتغال بالأعمال الفلاحية . كما كان من طبعهم أنهم يأنفـون الاتصال بالسلطة الحاكمة بل كانوا إذا حدث بينهم سوء تفاهم جنحوا الى تحكيم أهل الرأى منهم للفصل بينهم . فى هذا المجتمع الهادىء الوديع كان منصور رجلا فى العقد الخامس من عمره قد وخط الشيب عارضيه يعيش بيـن أبناء القريـة عيشة متوسطة دون الثراء وفوق الاملاق . وكان متصفا بسلامة الطويـة وطيبة القلب لكنه كان يبدو عليه انكسار الخاطر لأنه لم يرزقه الله ولدا . وكان يشتد به الأسف عندما يشاهد أبناء القرية حلقة حول مؤدبهم الذى كان يقوم بتعليمهم القرآن الكريم والمبادىء الأولية للعلوم الدينية ثم لا يتمالك أن يبتهـل الى الله بقوله : (رب هب لى من لدنك وليا) فاستجاب الله لدعائه ورزقه ولدا ذكرا أسماه « عامـر » وما إن وقع هذا الحدث السعيد حتى امتـلاء البيـت سرورا وحبورا وعم الفرح كامل الاسرة . وحالما بلغ الطفـل السـادسة من عمـره أدخل الى الكتاب فكان مضرب مثل فى الفصاحة والذكاء والاقبال عـلى القراءة بكل نشاط وجدية بيد إنه لم يمهله القدر لمواصلة ذلـك نظـرا لوفاة والـده ولزواج أمه بعد تلك الوفاة وبذلك بقى مشردا لا سند له .

وأول صدمة تلقاها يوم فاجأته عمته وهو بالكتاب بقولها :

ـ عامر هيا لترعى الخرفان قد طلع النهار وانت ما زلت هنا .

فقال لها :

ـ لا لا يا عمتى : ان والدى أوصانى بالا أنقطع عن الكتاب .

ـ (وصاية الميت تبقى تحت رأسه) إن القراءة لا تأتى لنا بالـرزق تعـالى يا ابن أخى إن الكتاب لا يوفر لك العيش الكريم ، وأرفق بنفسك واعمل عملا تكسب منه رزقا شريفا .

من ذلك اليوم وعامر تتقاذفه اللهفة على الدرس وموجات اليأس والقنوط وعمته لم ترحمه فيضيق به الحال ويتذكر أباه فيصعد زفرة الحسرة والأسى ويتوجه الى قبر أبيه فيقف بجانبه صامتا لا يكاد يستطيع الافضاء بمـا ينازع مشاعره . فلمن يبث أحزانه للقبر أم لصاحب القبر .

« ... آه يا أبتاه لو كنت حيا ما أصابنى الدهر بمكروه ولو شـاءت إرادة الله ما حرمت منك وما كنت على هذا الحال آه لـو كنت أمامى لأفضيـت إليك بمكنون صدرى وخاطبتك أنا ابنك عامر . آه يا ابتى لو كنت حيا لأرتميت على صدرك وعانقتك ... »

وتنهمر الدموع من عينى عامر ويوارى وجهه بين كفيه ويمرغ جبينه وصدره على قبر أبيه ثم يمضى يائسا ملتفتا الى القبر كأنما يرجو من صاحب القبر غوثا وسنـدا .

مضى عامر على هذه الحال أياما ثم صار يتوارى عن أهل القرية متسلـلا فى الصباح الباكر ليلتقط التمر المساقط من النخيل ويعود فى المساء يناجى أباه وعند الليل ينام على ربوة حذو المقبرة الى أن خطر بباله مغادرة البلـدة قصـد استئناف تعلمه واختار الالتحاق بجهة الساحل حيث الزوايا التى تأوى طلبة القرآن والعلم موجودة هناك ولبعدها عن مسقط رأسه حتى لا يلتحق به أقاربه فيرجعوه للرعى . ومن حينه نفذ هذا الاختيار رغم أنه يجهل هذه الجهة التى يسمع بها ولا يراها فخرج اليها وهو لم يتجاوز من العمر الرابعة عشرة وكان فى طريقه نحوها ساعيا على القدمين الحافيتين مرتديا قميصـا رثـا وبرنسـا مقطعا يقطع النجاد والوهاد بدون ماء ولا زاد تارة يبيت للعراء وطورا يجد من يؤويه من سكان البادية الى ان وصل الى مدينة صفاقس بعد عناء وشقـاء من وعثاء السفر فهاله منظرها: طرقات معبدة واضواء تتلألأ وعمارات شاهقة ومارة يتزاحمون كأنهم جمعوا ليوم عظيم اختلفت أشكالهم باختلاف أزيائهم ونحلهم فصار يجوب الشوارع تائها متفحصا هذه الوجوه مستغربا من هذه الأزياء التى

لم ير مثلها فيقريته الضيقة فهذا يرتدى بدلة إفرنجية وذلك يرتدى زيا عربيا أنيقـا . وقد كانت أمعاؤه تتقطع من شدة الجوع فيقف أمام المطـاعم يتشمم رائحة المآكل الشهية وشواء اللحم فيسيل لعابه وكلما هم بالدخـول حـدثته نفسه من أين لك ثمن هذا وغاية ما يحويه جيبك عشرون فرنكا وعسى أن تكون الأكلة الواحدة أضعاف ما يحويه جيبك .

وأخيرا يقف أمام مطعم شعبى متواضع فدخل اليه رجلان من البدو فتبعهما وجلس على الكرسى قربهما حتى جاء عامل المطعم فخاطب الرجلين :

ـ ما تطلبـان .

ـ هـات شمنكـــة

ـ والتفـت الى الصبى

ـ وأنـــت .

هـــات المنكـــة .

ـ وبعدما أكـل خاطب العامـل .

ـ بكـم يـا سيـدى .

(زوز فرنـك) .

نعمة من الله أكلة شهية بزوز فرنـك .

خرج من المطعم وقد مالت الشمس الى الغروب وجـن الليل وبـدأ يجـوب الطرقات ذهابا وايابا وقد ساد السكون المدينة وخلت الشوارع من المارة فاتجه الى جنان من أجنتها وقبع تحت شجرة زيتون وجـد تحتها كـوما مـن القش فافترشه حتى الصباح وفى الغد عاد الى المدينة وقصد المطعم الـذى تناول فيه وجبته البارحة ثم اتجه نحو الطريق الساحلية وجد فى السير بقية يومه حتى جن الليل فوقف بمكان حذو الطريق فأخذ منه الذعر كل ماخذ وسرت قشعريرة فى بدنه فارتجفت آذانه وخيل اليه ان أشجار الزيتون انقلبت أشباحا سوداء تتحرك تبتغى التهامه .

فجلس القرفصاء وجعل رأسه بين ركبتيه وضم يديه الى صدره ولفحت وجهه الرياح الباردة فارتجف وبدأ له الظلام المحيط به كأنه يريد أن أن يبتلعه ولا يرى النور قط فقضى ليلة ليلاء ، وقد بدا الخوف على قسماته ونمت خلجات أهدابه بمزيد القلق والاضطراب وصمم على الرجوع الى بلده وفى الصباح قفل راجعا الى المدينة فوصلها بد أن انهك جسمك الضعيف السير على الأقدام والسهر والخـوف .

وقصد توا محطة سيـارات الاجـرة حيث بقيت بجيبـه عشـرة فرنكـات وهى مقدار معلوم ركوبه الى قابس وأثناء جلوسه بالمحطة فى انتظـار الركوب وجد حذوه رجلا كهلا مرتديا لباسا تقليديا أنيقا يدل عـلى ثرائه ٠ وقـد كان ينتظر هو الآخر الركوب هناك .

لفت نظر الرجل طفل تعلو وجهه الكآبة والحزن فأحس بعطـف وجـاذبية نحوه وخيل اليه كأنه يعرفه من قبل فكلمه بصوت يفيض شفقة وحنانا :

ـ من اين أنت يا ولـدى ٠

ـ أنا مـن (كـذا) ٠

ـ يا للصدفـة ٠ أنا من الجهة نفسها أيضا ٠

ـ من أى قرية من قراها انت ؟

ـ أنا من قريـة (كـذا) ٠

آه ان تلك القرية تربطنى بها صلة قرابة ومصاهرة ٠

ثم ساد الصمت الذى كان أبلغ من البيان وأفصح من اللسان فقـد تفاهمت وتوشجت الالفة بين القلبين وشاء الله فى تلك اللحظـة أن ينقذ ذلـك اليتيم البائس من ظلمات التعاسة وتشرق شمسه بعد كسوفها فقطع الرجل حبل الصمت فقـال :

ـ كم عمرك يا ولدى ؟

ـ اربـع عشر سنة ٠

ـ ما الذى جاء بك الى هنـا ٠

ـ قاصـدا الساحل للقراءة ٠

ـ هـل لك أبـوان ٠

ـ ليس لى أبوان فالأب توفى والأم تزوجت ٠

ـ ما اسمـك ؟

ـ اسمى عامـر ٠

خفق قلب الرجل وأصابه اندهاش كبيـر ونظـر اليـه بطـرف مخضـل بالدموع وقـال :

عامـر : أنا خالك يا محنى فقد تغافلت عنك مدة طويلة من زمن وفاة أبيك رحمه الله وانى كنت أعتقد أنك مكفول عند أقاربك ، والآن فانك ستكون مرافقا لى مكفولا عندى قائما بواجبك التعليمى الى النهاية ثم تحول به فى الحال فاشترى له كساء لائقا ، وبعد ذلك اصطحبه معه الى بلده فأنزله منزلة الابن الوحيد،فقد رباه وأدخله الى التعليم الزيتونى حتى بلغ درجة مرموقة بين أقرانه علما وذكاء وحياة كلها سعادة وهناء وهكذا شعت شمسه بعد كسوفها وطلع حظه بعـد نحوسـه ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد الهادى الفطناسى

الفهـــرس

العـدد الثـانى (أفريـل 1984) المجلـد الســادس عشــر

تصديـر	قصـص	3
الخبـر	نافلـة ذهـب	5
نبـاح فى بيـت مهجـور	التـابعي الأخضـر ...	8
عبـد الكـريـم (I)	محمـود بلعيـد	12
البـوابة	مـاري عيلبـوني	31
القـرية والذبـاب	نور الدين بن بلقاسم ..	36
اشكـالية تحديـد الجسـد وبنـاء الـذات فى رواية « خطوط الطول .. خطوط العرض » ..	المنصـف ونـاس	45
رضـون الكـوني فى مـواجهة أسئلـة ...	أحمـد ممـو	51
الادراك ـ قصـة د. فـراي	تعريب : محمد الهـادي بن صالـح	62
حـوار مـع أحمـد ممـو	محمد الخموسي الحناشي	65
أشجـان الجيـلانى	أحمـــد الفهيـري ..	82
الوجـه الآخـر	قمـر كيـلاني	87
طفـل ـ هـو الـوطن	يوسف عبد العـاطي ..	94
قـد أشعـت الشمـس	محمد الهادي الفطناسي	99

انـتـهـى طـبـع هـذه المـجـلـة
بمطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم
20 نهـج المنجـى سليـم ـ تـونس
تحت عدد 84/776 الايداع القانونى 84/3

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com